جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

حـديــث الصيـــــام

إعداد

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

القاهرة

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

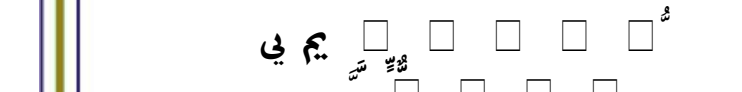

(البقرة: ١٨٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه

إلى يوم الدين.

وبعـــد :

فتيسيرًا على أبنائنا الأئمة بصفة خاصة ، وزملائنا من العاملين في الحقل الدعوي بصفة عامة ، عمدت في هذا الكتاب إلى جمع بعض الدروس الدعوية التي أديتها متلفزة أو مسموعة ، وبعض المقالات والخواطر التي كتبتها ونشرتها خلال شهر رمضان ، مما يتناسب والبعد الروحي لهذا الشهر الكريم .

وقد حرصت على توثيقها ، وسهولة ويسر أسلوبها ، وعلى تنوعها، لتكون زادًا أو مفاتيح أساسية لمن يتصدى للدروس الدعوية في الشهر الكريم ، أو من يحب أن يتزود بالزاد العلمي والروحي خلال هذا الشهر المبارك ، أو في غيره من سائر الأيام .

سائلاً الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يكتب له السداد والتوفيق والقبول .

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك

وزيـــر الأوقـــاف

على أبوا[illegible]

عندما يهل علينا شهر شعبان ندرك وبلا أدنى شك أننا على أعتاب وأبواب شهر كريم هو شهر رمضان ، وقد كان الصالحون يدركون فضل هذا الشهر الكريم ، ويجعلونه مقصدهم ومحور اهتمامهم ، فستة أشهر يسألون الله (تعالى) أن يبلغهم إياه ، وستة أشهر يسألونه (سبحانه وتعالى) أن يتقبله منهم .

وكانوا يتخذون من شعبان توطئة وتهيئة لاستقبال هذا الشهر الكريم ، ولنا ولهم في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة ، حيث تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) : " كَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) اسْتَكْمَلَ

صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ"[1].

وإذا كان أهل الدنيا يستعدون كل الاستعداد لأمور دنياهم ، وحق لهم، وهو أمر محمود لمن يعمل ويخطط لإنجاح ما هو مقبل عليه من عمل ، وإذا كان من يريد أن يعقد ندوة أو مؤتمرًا أعد له وهيأ لأسابيع أو لشهور عدة ، فإن شهرًا كريمًا بما فيه ليلة هي خير من ألف شهر لجدير أن نعد أنفسنا وأن نهيئها لاستقباله مبكرًا.

هو شهر الصوم ، فلتكن التهيئة بالحرص على النوافل والإكثار من الصيام في شعبان ، وهو شهر القيام ، فلتكن التهيئة بالحرص على قيام الليل، وقبله الحرص على أداء الفرائض ، ولا سيما صلاة الفجر وأداؤها في جماعة طوال شهر شعبان ، وإذا كان رمضان شهر القرآن ، فلنبدأ رحلتنا مع القرآن مبكرًا ، فهمًا ودراسةً وتفقهًا ، وإذا كان رمضان شهر البر والإحسان والجود والكرم ، فلنبدأ من الآن في إعداد أنفسنا لإخراج زكاة أموالنا في رمضان رجاء التعرض لنفحات الله (عز وجل) فيه بمضاعفة الحسنات ، ولنكثر من الصدقات ، ليس في رمضان فحسب ، وإنما قبيل رمضان ، لإحداث التكافل الإنساني والتوازن المجتمعي بإدخال السعادة والبهجة والسرور على الأسرة الفقيرة والأكثر فقرًا ، بحيث لا يكون بيننا في هذا الشهر الكريم جائع ولا محروم ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ"، فَقَالَ أَبو سَعِيد الْخُدْرِيّ (رضي الله عنه):" فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ ما ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ"[3].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم ، بَابُ صَوْمِ شَعْبَانَ ، حديث رقم ١٩٦٩ ، مالك في الموطأ : كتاب جامع الصيام ، حديث رقم ١٠٩٨ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ج ١/ص ٢٥٩ ، حديث رقم ٧٥١.

(٣) صحيح مسلم:كتاب اللقطة ، باب استحباب المؤاساة بفضول المال ، حديث رقم ١٧٢٨، وصحيح ابن حبان: كتاب اللباس وآدابه، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ أَثَرَ النِّعْمَةِ يَجِبُ أَنْ تُرَى عَلَى الْمُنْعِمِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ ، حديث رقم ٥٤١٩ .

وإذا كان الإسلام قد جعل جزاء من يطعمون الطعام ثوابهم عظيما، فقال سبحانه : □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ *ﯾ □ □ □
□ * □ □ □ □ □ □ □ ﮋ * □ ﭣ ﭤ
ﭥ ﭦ □ □ ﭨ * ﭩ □ □ □ □ □ □(١)، وقال سبحانه : ﭽ
ﭲ ﭳ* ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ * □ ﭹ * ﭺ □ ﭼ □ □ □ □
* □ □ □ * □ □ □ □ * □ □ □ □ □ □
□ □ □ □(٢).

فإن هذا الجزاء والثواب العظيم يضاعف أضعافًا مضاعفة في شهر الخير والجود والكرم شهر رمضان ، وقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"(٣)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ ، قَالَ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ الله عِزًّا ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ- أو كلمة نحوها"(٤).

على أن المال إنما يزيد وينمو بالإنفاق في وجوه الخير ، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) : □ □ □ □ □ □ □
□(٥)، وشكر النعمة يكون من جنسها ، فشكر المال إنفاقه في وجوه الخير ومعرفة حق الله فيه ، وبخاصة تجاه الفقراء والمساكين والأيتام والمحتاجين ، فهلم يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر.

---

(١) الإنسان: ٨ -١٢.
(٢) البلد: ١١-١٧.
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ (الليل٥ - ١٠) ، اللهم أعط منفق مال خلفًا ، حديث رقم ١٤٤٢، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب في المنفق والممسك، حديث رقم ١٠١٠.
(٤) سنن الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في مثل الدنيا مثل أربعة نفر، حديث رقم ٢٣٢٥.
(٥) إبراهيم: ٧.

• • •

يا باغي الخير أقبل

من كان ينتظر ضيفًا كريمًا أو عزيزًا أعد العدة لاستقباله ، وهيأ نفسه وأهله لحضور ذلك الضيف ، والضيف الذي نستعد جميعًا لاستقباله هو ضيف جد كريم ، هو شهر رمضان المبارك ، حيث يمن الله (عز وجل) على عباده فيه بالعطاء العميم ، فمن صامه إيمانًا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، كما أن من قامه إيمانا واحتسابا غفر لها ما تقدم من ذنبه ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "[2] ، من فطر فيه صائمًا فله مثل أجره غير أن ينقص من أجر الصائم شيئًا ، ومن أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، ولله في كل ليلة منه عتقاء من النار ، وهو شهر القرآن ، والصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة .

على أن الضيف الكريم لا يحب البخل ولا البخلاء ، فأخص صفات شهر رمضان أنه شهر الجود والكرم والسخاء والتكافل ، ولنا فى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة ، يقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): "كانَ رَسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجْوَدُ ما يَكونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضَانَ ، فيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ" [3].

وقد حثنا رب العزة (سبحانه وتعالى) أن يكرم بعضنا بعضًا حتى نكون أهلا لكرمه ومزيد فضله، يقول سبحانه : ُبن بى بي تر □

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصيام ، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان ، حديث رقم ٣٧ ، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان، حديث رقم ٧٥٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصيام ، باب من صام رمضان إيمانًا ، حديث رقم ١٩٠١، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان ، حديث رقم ٧٦٠

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، حديث رقم ٣٢٢٠ .

□ تن تى تي □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□□ □ □ □ ٌّ(١)، ويقول سبحانه :ٱلم لى لي □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم
ي □ □ □ □ □ ٌّ(٢).

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" [٣].

وإذا كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) قد حثنا على إطعام الطعام في كل حال فقال (صلى الله عليه وسلم) : "يأَيُّهَا النَّاسُ أَفْشوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بالليل وَالنَّاسُ نِيامٌ ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ"[٤] ، فإن إطعام الطعام في هذا الشهر ألزم وأعلى أجرًا ، فمن فطر صائمًا غنيًّا أو فقيرًا قريبًا أو صديقًا أو غير قريب ولا صديق فله مثل أجره ، وهذه دعوتنا لأهل الفضل "يا باغي الخير أقبل"، حتى لا يكون بيننا في رمضان جائع ولا مسكين ولا محتاج إلا قضينا متكاتفين حوائجهم وأغنيناهم عن ذل السؤال في هذا الشهر الكريم .

● ● ●

---

(١) البقرة : ٢٦١ .
(٢) البقرة : ١٧٧ .
(٣) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ٱ تح تخ تم ته ، حديث رقم ١٤٤٢، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، حديث رقم ١٠١٠.
(٤) سنن الترمذي: أبواب الطعمة، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ إِطْعَامِ الطَّعَامِ، حديث رقم ١٨٥٥ ، وسنن ابن ماجه ، أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في من أيقظ أهله، حديث رقم ١٣٣٤.

رمضان شهر جماع الخير

رمضان شهر الصفاء الروحي بلا منازع ، فهو شهر الإيمان ، وشهر البركات ، وشهر الرحمات ، وشهر النفحات ، من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، فيه ليلة خير من ألف شهر هي ليلة القدر ، من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن فطّر فيه صائمًا فله مثل أجره من غير أن يُنقَص من الصائم شيء ، ومن أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه .

وهو شهر البر والصلة ، لا مجال فيه للخصام أو الخلاف أو المشاحنة ، يسارع الناس فيه إلى الخيرات بصفة عامة ، وإلى صلة الرحم والصلح بين الناس بصفة خاصة ، وفي الحديث القدسي:" أَنَا الرَّحْمَنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بتته"[1] ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) اقرءوا إن شئتم قول الله (تعالى) : ٱ بن بى بي تر □
□ تن تى تي □□ □ □ □ □ □ □ □□ □□ □ □ □ □
□ □ □ □ ٱ[2] [3] .

وهو شهر الجود والسخاء ، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان.

ويقول الحق (سبحانه وتعالى) : ٱ □ □ سم □ □ □ □ □
□ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □□
□ □ □ □ لج لح لخ لم لهٱ[4].

وهو شهر القرآن ، وشهر الذكر ، وشهر الدعاء ، وليس ذلك كله بالأمر اليسير ، إنما هو أمر لو تعلمون عظيم ، فأهل القرآن هم أهل

---

(١) سنن الترمذي: أبواب البر و الصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، حديث رقم ١٩٠٧ .

(٢) محمد: ٢٢-٢٤ .

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، حديث رقم ٢٥٥٤ .

(٤) محمد: ٣٨ .

الله وخاصته ، وبالذكر تطمئن القلوب ، يقول سبحانه: ﴿ □ هم □ يح يح يحيم □ □ □ □ □﴾[1].

ومن رُزق الدعاء رُزق الإجابة ، لأن الله (عزوجل) حييٌّ كريم يستحي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرًا خائبتين ، وهو القائل: ﴿ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ لج﴾[2].

وهو شهر العمل والإنتاج ، إذْ لا ينبغي ولا يجوز أن تتعطل حركة الحياة في هذا الشهر الكريم ، بل ينبغي أن تكونَ إرادة الصوم حافزًا لمزيد من العمل ، وأن تكون مراقبة الله فيه باعثًا لمزيد من المراقبة ومن صحوة الضمير الإنساني الحي .

ولعل أهم ما نطمح إليه ، ونرجو أن نصل إليه من خلال كل ما سبق هو الصفاء مع الله ، ومع الناس ، ومع النفس ، ولن يكون ذلك إلا بالثقة الكاملة في الله ، وحسن اللجوء إليه والتوكل عليه .

والصفاء مع الناس إنما يكون بالبعد عن كل أسباب العداوة والشقاق، والفرقة والخلاف ، والبغضاء والشحناء ، والأحقاد السوداء، والقلوب المريضة ، والغيبة والنميمة ، والكيد والمكر، والعمل على تعطيل الآخرين ، والانشغال عما يعنينا بما لا يعنينا .

والصفاء مع النفس يكون بصلحها مع ذاتها ومع الآخرين ، والإيمان بأن ما قدر كان ، وما كان للإنسان فهو آتيه لا محالة ، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوا الإنسان بشيء لم ينفعوه إلاَّ بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليه ، فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف .

ولابد أن يكون الإنسان في توازن بين معاشه ومعاده ، وبين أمر دينه وأمر دنياه ، وأن يكف أذى لسانه ويده عن الناس ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه .

وهو شهر الرحمة بلا منازع ، رحمة الله (عزوجل) بعباده ، ورحمة العباد بعضهم ببعض ، فالراحمون يرحمهم الله ، ومن لا يَرحم لا يُرحم.

---

(١) الرعد : ٢٨ .
(٢) البقرة: ١٨٦.

وهو ما يتطلب أن نعمل على أن تعم هذه الرحمة الإنسانية كلها: إنسانها وحيوانها وطائرها ؛ لنؤكد للعالم كله أن ديننا دين رحمة وسلام لا عنف فيه ولا إرهاب ، وأن نبينا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) هو نبي الرحمة ، ورسالته هي رسالة الرحمة ، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) : ﴿ ﴾[1].

• • •

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

رمضان شهر القرآن

رمضان شهر القرآن ، وكلام الله (تعالى) كتاب رحمة وشفاء ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ ﴾[1] ، ويقول سبحانه : ﴿ ﴾[2] ، وكتاب نور ، حيث يقول سبحانه : ﴿ ﴾[3] ، وكتاب هدى وهداية ، حيث يقول سبحانه : ﴿ ﴾[4]، ويقول سبحانه :﴿ ﴾[5]، وكتاب مبين ، يقول سبحانه :﴿ ﴾[6]، وكتاب مبارك يقول سبحانه:﴿ ﴾[7]، وكتاب فرقان ، يقول سبحانه : ﴿ ﴾[8] ، وكتاب عزيز :﴿ ﴾[9]، وهو أعذب الكلام ، وأفصحه، وأبلغه ، فمن أحسن من الله قيلًا ، ومن أحسن من الله حديثًا ، فهو أحسن الحديث ، يقول سبحانه :﴿ ﴾[10].

وقد جمع الحق (سبحانه وتعالى) في آية واحدة بين شهر رمضان ونزول القرآن ، وكونه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فقال سبحانه :﴿ ﴾[11].

ولقد جمع النبي (صلى الله عليه وسلم) بين الصيام والقرآن في شفاعتهما للعبد يوم القيامة يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ

---

(١) الإسراء : ٨٢ .
(٢) فصلت : ٤٤ .
(٣) النساء : ١٧٤.
(٤) البقرة : ٢.
(٥) الإسراء : ٩.
(٦) المائدة : ١٥.
(٧) ص : ٢٩ .
(٨) الفرقان : ١ .
(٩) فصلت : ٤١.
(١٠) الزمر : ٢٣.
(١١) البقرة : ١٨٥.

، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُول الْقُرْآنُ : مَنَعْتُه النَّوْم باللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ "(١).

وكان جبريل (عليه السلام) يدارس القرآن للنبي (صلى الله عليه وسلم) في رمضان ، ويقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) : " كَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِين يلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَان فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ"(٢).

كما جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) تعليم القرآن وتعلمه من أفضل الأعمال ، ولما سمع أعرابي قول الله تعالى : ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □﴾(٣) قال : أشهد أن هذا كلام رب العالمين ، فمن يقدر أن يأمر الأرض أن تبلع ، والسماء أن تقلع إلا رب العالمين؟ ، وقال الأصمعي لجارية : ما أفصحك ! قالت : وأية فصاحة بعد قوله (تعالى) : ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □﴾(٤)، فقد جمع الله جلا وعلا في آية واحدة بين أمرين ، ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين، كما أن الجن حينما سمعت القرآن : ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □﴾(٥).

غير أن من أهم ما في القرآن الكريم أن عطاءه العلمي والروحي والإيماني والإنساني لا ينفد إلى يوم القيامة ، يعطي كل قوم على قدر عطائهم لله (عز وجل) ، وتعلقهم به ، وإخلاصهم لله فيه ، فعلينا أن نعتني به حفظًا وتلاوةً وتعلمًا وتعليمًا ومدراسة وفقهًا ، مع إدراكنا أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، حيث يقول نبينا :

---

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب فضائل القرآن، باب أَخْبَارٌ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ جُمْلَةً ، ، حديث رقم ٢٠٣٦. وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، ومسند أحمد: ج ١١/ ص ١٩٩ ، حديث رقم ٦٦٢٦ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟، حديث رقم ٦، وكتاب الصوم، بَابٌ: أَجْوَدُ مَا كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَكُونُ فِي رَمَضَانَ ، حديث رقم ١٩٠٢ .

(٣) هود : ٤٤ .

(٤) القصص : ٧ .

(٥) الجن : ١-٢.

"إِنَّ لله أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ " قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : " هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ " [1].

ولا شك أننا حين نفقه القرآن حقًّا ينير الله به طريقنا ، ويهدينا سبل الرشاد .

● ● ●

(١) سنن ابن ماجه: أبواب السنة، بَابُ فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم ٢١٥ . ومسند أحمد: ج١٩/ص ٢٩٦، حديث رقم ١٢٢٧٩.

رمضان شهر قيام الليل

لعل من أهم خصائص الشهر الفضيل التي تجمع الناس في زماننا هذا هو قيام الليل بدءًا بصلاة التراويح وانتهاء بالتهجد ، مع الحرص على أداء الفرائض في أوقاتها ، وهو أحد أهم موجبات المغفرة في هذا الشهر الفضيل، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم ذنبه" [1]، بل إن الله (عزوجل) جعل هذا الفضل كاملا لمن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" [2].

وفي بيان شرف الليل ، وقيامه ، والثناء على أهله ، وبيان عظيم شأنهم وشرف عملهم ، يقول الحق (سبحانه وتعالى): ﴿□ لج لح لخ لم لهٰ﴾ [3].

ويقول سبحانه : ﴿□ □ بن بى بي * □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ □ □ □ * □ □ □ * □ □ □ * □ □ □ □﴾ [4].

ويقول سبحانه: ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ نى ني □ □ □ * بن □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ * به تج تح تخ تم تهثم □ جم﴾ [5].

ويقول سبحانه : ﴿لخ لم * لي □ □ □ *□ □ □ □ □ * نى □ □ □ □ □ □ * □ □ يم يي □ *□ □ □ * □ □ □ □ □ □ بر * □ بن بى بي تر □

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصيام، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، حديث رقم ٣٧، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، حديث رقم ٧٥٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصيام، باب من صام رمضان إيمانًا، حديث رقم ١٩٠١، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، حديث رقم ٧٦٠.

(٣) الزمر: ٩ .

(٤) الذاريات : ١٥-١٩ .

(٥) السجدة : ١٦-١٨ .

* ﭧ ﭨ ﭩ □ □ □ □ □ □ ﮊ [١].

ومن الأحاديث الواردة في فضل قيام الليل : ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ الله الْمُحَرَّمُ ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ"[٢]، وعن جابر(رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول :" إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله خَيْرًا مِن أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَذلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ" [٣].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " رحِمَ الله رَجُلا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فصلىَّ وأيْقَظَ امرأتهُ ، فإنْ أَبَتْ نَضحَ في وجْهِهَا الماءَ ، رَحِمَ الله امرَأَةً قَامت من اللَّيْلِ فَصلَّتْ ، وأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فإن أَبي نَضَحَتْ فِي وجْهِهِ الماءَ "[٤] وعن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ " [٥]، وعن سالم بن عبد الله بن بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن أبيه ، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " نِعْمَ الرَّجلُ عبدُ الله لَو كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ قالَ سالِمٌ : فَكَانَ عَبْدُالله بعْدَ ذلكَ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ قَلِيلًا " [٦].

وقال سعيد بن المسيب : "إنَّ الرجل ليقوم الليل، فيجعل الله في وجهه نورًا ، يحبه كلُّ مسلم ، فيراه من لم يره قط ، فيقول : إني أحبّ هذا الرجل"[٧]، وسُئل الحسن البصري: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟! فقال : لأنهم خلوْا بالرحمن

---

(١) المزمل: ١-٩.
(٢) صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، حديث رقم ١١٦٣.
(٣) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، حديث رقم ٧٥٧.
(٤) سنن أبي داود: كتاب أبواب قيام الليل، باب قيام الليل، حديث رقم ١٣٠٨ .
(٥) سنن الترمذي: أبواب الدعوات ، حديث رقم ٣٥٤٩.
(٦) صحيح البخاري: كتاب التهجد ، باب فضل قيام الليل، حديث رقم ١١٢٢، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمر، حديث رقم ٢٤٧٩.
(٧) فصل الخطاب في الزهد والرقائق: ج ٧/ ص ٩٧.

فألبسهم من نوره[1] .

وإذا كان قيام الليل مستحبًّا في كل حال فهو أكثر استحبابًا في هذا الشهر الكريم ، ويزداد استحبابًا في العشر الأواخر منه ، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أيقظ أهله ، وأحيا ليله ، وجدَّ ، وشد مئزره ، اجتهادًا منه (صلى الله عليه وسلم) في العبادة في هذا الشهر الكريم وتلك الأيام المباركة.

● ● ●

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: ج ٤/ ص ٤١٢.

رمضان شهر العتق من النار

لرمضان فضائل عديدة من أهمها أنه شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ لله عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ "[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ لله عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ "[2]، وفي سنن البيهقي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال : "لله (تعالى) عند كل فطر من شهر رمضان كلَّ ليلة ـ عتقاءُ من النار ستون ألفًا ، فإذا كان يومُ الفطر أَعتَقَ مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفًا"[3]، وقال (صلى الله عليه وسلم): "إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَت الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، ولله عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ"[4].

وللعتق من النار أسباب أهمها وأعظمها هو فضل الله (عز وجل) على عباده ورحمته بهم ، ثم إن هناك أسبابًا من أخذ بها كانت سبيله إلى العتق من النار ، منها طاعة الله (عز وجل) ورسوله (صلى الله عليه وسلم) : " كما قال الله (تعالى) : ُ □ حم □ خم □ □ □ سم □ □ □ □□ □ □ □ّ[5]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى . قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى"[6].

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الصيام ، باب بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، حديث رقم ١٦٤٣، ومسند أحمد : ج ٣٦/ص ٥٣٨ ، حديث رقم٢٢٢٠٢.

(٢) مسند أحمد : ج ١٢/ص ٤٢٠ ، حديث رقم ٧٤٥٠ .

(٣) شعب الإيمان : شعب الإيمان ، الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَهُوَ بَابٌ فِي الصِّيَامِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]، ج٥/ص ١٩٠، حديث رقم ٣٣٣٤.

(٤) سنن الترمذي: أبواب الصيام ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان ، حديث رقم ٦٨٢ .

(٥) النساء : ١٣ .

(٦) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله □حديث رقم ٧٢٨٠ .

ومنها قول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لَنْ يلجَ النَّار أَحدٌ صلَّى قبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها"[١] ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : "عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله"[٢].

وقوله (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي : اللهمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ الله لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. أَعْتَقَ الله رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ الله نِصْفَهُ ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ الله ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ الله مِنَ النَّارِ" [٣].

ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم) : "فَإِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله"[٤].

ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم) : "ما اغْبَرَّتْ قدَما عَبْدٍ في سبيلِ الله فتَمسَّه النَّارُ" [٥] ، ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ كَانَ هَيِّنًا لَيِّنًا سَهْلا قَرِيبًا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ"[٦].

ومنها قول سيدنا معاذ بن جبل(رضى الله عنه) :كنت مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال:" لقد سألتَ عن عظيمٍ، وإنَّهُ ليسيرٌ علَى من يسَّرَه الله عليه، تعبدُ الله ولا تشركُ بِه شيئًا، وتقيمُ الصَّلاةَ، وتؤتي الزَّكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ، ثمَّ قالَ: ألا أدلُّكَ علَى أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدَقةُ تطفئُ الخطيئةَ، كَما يطفئُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرَّجلِ في جوفِ اللَّيلِ .

---

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما حديث رقم ٦٣٤ .

(٢) سنن الترمذي: فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله حديث رقم ١٦٣٩ .

(٣) سنن أبي داود: أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم ٥٠٦٩ .

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، حديث رقم ٢٨١١.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الجهاد ، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، حديث رقم ٢٨١١.

(٦) سنن البيهقي: كتاب الآداب ، باب في حسن الخلق وسلامة الصدر ، حديث رقم ١٦٠ .

ثمَّ تلا : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتَّى بَلغَ : ﴿يَعمَلونَ﴾ ثمَّ قال : ألا أُخبِرُك بِرأسِ الأمرِ ، وعمودِه ، وذِروَةِ سَنامِه؟ قلت: بلَى ، يا رسولَ الله ، قال: رأسُ الأمرِ الإسلام ، وعمودُه الصَّلاةُ ، وذِروةُ سَنامِه الجِهادُ.

ثمَّ قال: ألا أخبِرُك بِملاكِ ذلِك كلِّه؟ قلتُ: بلَى، يَا نبيَّ الله، فأخذَ بلسانِه، وقال: كُفَّ عليكَ هَذا، فقُلتُ: يا نبيَّ الله، إنَّا لمؤاخَذونَ بِما نتَكلَّمُ بِه؟ قال: ثَكلتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهل يَكبُّ النَّاسَ في النَّارِ علَى وجوهِهِم، أو علَى مناخِرِهم، إلَّا حصائدُ ألسنتِهم" [1].

● ● ●

(١) سنن الترمذي: أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، حديث رقم ٢٦١٦.
وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، حديث رقم ٣٩٧٣ .

رمضان شهر العمل لا البطالة ولا الكسل

بعض الناس ينظرون إلى شهر رمضان نظرة خاطئة ، على أنه شهر نسك فحسب ، فربما عطلوا أعمالهم أو قصروا فيها ، وربما رأينا من يقول سنتفرغ للعبادة في هذا الشهر الكريم ، لكن الإسلام دين العبادة والعمل والإتقان فيه، لا يعرف البطالة ولا الكسل لا في رمضان ولا في غيره من الشهور ، خاصة أننا مطالبون بأن نكون أقوياء في مجتمعاتنا ودولنا ، فقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم):" الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ "(١) فلم يحدد الرسول (صلى الله عليه وسلم) جانبًا واحدًا من القوة ، بل أراده قويًّا في كل شيء ، وبما أن الاقتصاد هو أحد أهم المحركات للمجتمعات والأمم ؛ فلا بد من العمل والإبداع والإنتاج .

والأنبياء كانوا يأكلون من عمل أيديهم؛ فقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"(٢)، وخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) نبي الله داود بالذكر دون سائر الأنبياء ؛ لأن الله جمع له بين الملك والنبوة ، وهذا يؤكد أنه لم يكن يعمل للحاجة بل لشرف عمل اليد ، فالعمل في حد ذاته شرف ، ويد العامل يحبها الله ورسوله ، بل إن الكد في العمل يكفر ذنوبًا لا يكفرها الصيام ولا الصلاة ، وهذا لا يتعارض مع العبادة في رمضان فديننا دين التوازن بين العبادة والعمل لا دين البطالة والكسل.

وعلى الإنسان أن يبتعد عن الأماني الخادعة القائمة على البطالة والكسل، فالأمل يحتاج إلى عمل ؛ لأن الأمل بلا عمل كجسد بلا ساق ، لا يقوم له قوام ، مما يجعلنا ندعو وبشدة إلى الأمل المبني على العمل والأخذ بالأسباب، وإلا كان أملاً أجوف لا طائل منه ، فقد كان سيدنا عمر(رضي الله عنه) يقول : لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة .

ويقول الحق (سبحانه و تعالى) : ﱡﭐ □ □ □ □ □ يم ي

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، حديث رقم ٢٦٦٤.
(٢) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم ٢٠٧٢.

□ □ □ □ (١) ، وقد جمع الحق (سبحانه وتعالى) في كتابه الكريم بين الباحثين عن الرزق الحلال والمجاهدين في سبيل الله ، فقال سبحانه : □ يم يي □ □ □□ □□ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ □ تن تى □ □ □ □ □ تي □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ني نى □ □ □ □ □ ين □ □ □ □ (٢) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصا وَتَرُوحُ بِطَانا"(٣)، قال أهل العلم : إن الطير هنا تأخذ بالأسباب فهي تغدو وتروح، ولا تمكث كسالى في أعشاشها وأوكارها وتقول : اللهم ارزقني ، فما أحوجنا إلى الأمل والعمل معًا ، الأمل الذي يستجلب الهمة والنشاط ، والعمل الذي نعمر به الكون ، ونبني به الحضارة ، ونصلح به أمر ديننا ودنيانا.

ولهذا نؤكد أن الإسلام يأمرنا بتوسيع نظرتنا إلى العمل الذي يمتد أثره ونفعه إلى الآخرين ، وكذلك يأمرنا بالعمل والإتقان فيه وتجويده ، ومن ثم نريد أن يعود شعار (صنع في مصر) بارزًا قويًّا من جديد ؛ لأن ديننا دين الإتقان ، وحضارتنا حضارة إتقان وإبداع ، وبالعمل ترقى وتزدهر الأمم.

● ● ●

(١) الملك : ١٥.
(٢) المزمل: ٢٠.
(٣) سنن الترمذي: أبواب الزهد، باب في التوكل على الله ، حديث رقم ٢٣٤٤.

رمضان شهر الجود والإيثار والتكافل

خلق الله (تعالى) الكون بمقدار وحكمة ، واقتضت حكمته (سبحانه وتعالى) أن يمتحن بعض الناس بالغنى ، ويبتلي بعضهم بالفقر ، فقد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ، ويبتلي الله بعض القوم بالنعم ؛ ليُعلم مدى شكر الغني وصبر الفقير.

وشهر رمضان هو شهر الجود بكل معانيه ، والإيثار بكل ما يحتويه ، والتكافل بكل مراميه ، فمن فطر فيه صائمًا كان له مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجره شيئًا ، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس ، وأكرم الناس ، وخير الناس للناس ، وكان (صلى الله عليه وسلم) أجود ما يكون في رمضان ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة .

والمال مال الله ونحن مستخلفون فيه ، فمن أحسن الاستخلاف بارك الله له في ماله ، ولا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ، ومن تصدق بعدل تمرة من كسب طيب فإن الله يتقبلها ويربيها ، وينميها له حتى تكون مثل الجبل ، والإنسان ليس له من ماله إلا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأقنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب ، ولهذا كانت الصدقة هي الباقية، وكل نعمة لها شكرها ، وأفضل الشكر ما كان من جنس النعمة ، وأفضل الصدقة أن يتصدق الإنسان وهو في شبابه ؛ يحتاج إلى المال ومع هذا لا ينسى الفقير، ولا المحتاج .

ولهذا ندرك حقيقة الجود والكرم في الإسلام كما في إجابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذا السؤال : أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"[1].

وكما افترض الإسلام الصلاة افترض الزكاة ، فمن لم يؤد زكاة ماله كان كالذي لم يُصَلِّ سواءً بسواء ، وقد جاء الوعيد الشديد في

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام ، حديث رقم ١٢، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أمور أفضل ، حديث رقم ٣٩ .

القرآن الكريم لمن لم يخرج صدقة ماله ، حيث توعدهم الله (تعالى) بكي جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ، جزاءً وفاقًا لما بخلوا به على الفقراء ، والمساكين ، والمحتاجين ، فجزاؤهم من جنس عملهم .

والإسلام منهج يقوم على التكافل والتراحم ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) :" مَا ءَامَنَ بِي مَنْ باتَ شَبْعانَ وَجارُهُ جائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ"[1].

فالإحسان إلى الجار منهج ديني ، وإنساني ، وكان سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) إذا ذبح شاةً قال : ابعثوا لجارنا اليهودي منها ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ للهِ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ ، أُولَئِكَ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2].

وقال (تعالى) : ﭐ □ □ ﺳ □ □ □ □ □ □ □ □□
□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □
ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ[3]، وقال (صلى الله عليه وسلم) :" مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ : اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"[4]، فالله قادر على أن يبدل الأحوال فيجعل المعطي آخذًا والآخذ معطيًا .

كما بين القرآن الكريم أن عدم إطعام المسكين سبب في دخول سقر، قال (تعالى) : □ □ □ □ □ □ * □ □ □ □ □ □ □ * □ □ □ □ [5] ، فشتان بين هذا وبين من أخرج من ماله وتصدق ، وأطعم الطعام ، فلهم الجزاء الأوفى ، والأجر الأعظم عند الله (عز وجل) ، قال (تعالى) : ﭐ□ □ □ □ □ □ □ □ □ *ﺑ □ □ □ □ [6] ، كما أن البركة تحل بالمال إذا أنفق

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة : ج ١١ ، ص ٢٢١ ، حديث رقم ٣٠٣٥٩.
(٢) مسند الشهاب القضاعي: ج٢ / ص ١١٧ ، حديث رقم ١٠٠٧ .
(٣) محمد : ٣٨.
(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب الزكاة ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٦] «اللهَمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا» ، حديث رقم ١٤٤٢ ، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة ، بَابٌ فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ ، حديث رقم ٥٧ .
(٥) المدثر : ٢٤-٤٤ .
(٦) الإنسان : ٨-٩.

وتصدق به ، فيبارك الله (تعالى) في مال المتصدق ويزيد .

وعلى المعطي أن يشكر نعم الله (تعالى) عليه مصداقًا لقوله (عز وجل) : ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ (١) ، ومن شكرها أن نحسن العطاء ، قال (تعالى) : ﭐﱡ لخ لم لى لي □ □ □ □□ □□ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ ﱠ(٢)، ونهانا ربنا عن تقديم الخبيث فقال سبحانه : ﭐﱡ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تجﱠ(٣).

ومن هنا ندرك أن الإسلام دين الجود والإيثار والتكافل والشعور بالآخرين قولاً وفعلاً ، ولا سيما في شهر رمضان الكريم ، وأن الخير الذي يصنعه الإنسان لا يضيع ، بل يجده الإنسان في ماله ، وأحفاده ، ومن أنفق من فضل الله أنفق الله عليه.

• • •

من فضائل رمضان في السنة النبوية

شهر رمضان شهر الخيرات والنفحات والرحمات ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ لِرَبِّكُمْ (عز وجل) فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا"(٤)، وهو شهر المغفرة والرحمة .

وإذا كان الله (عز وجل) جعل ثواب الحج عظيمًا حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : "منْ حجَّ فَلَم يرْفُثْ، وَلَم يفْسُقْ، رجَع كَيَومِ ولَدتْهُ أُمُّهُ"(٥) نجد المعنى المساوي له في قوله :" مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (٦)، فمعنى ذلك أن الله تجاوز عما سبق من ذنوب الصائم كما يتجاوز عن ذنوب من حج من قبل حجه .

---

(١) إبراهيم : ٧.

(٢) آل عمران: ٩٢.

(٣) البقرة : ٢٦٧.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني: ج ٣ / ص ١٨٠ ، حديث رقم ٢٨٥٦ .

(٥) سنن الترمذي: كتاب أبواب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة ، حديث رقم ٨١١.

(٦) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب الصيام، باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان، حديث رقم ٣٨، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، حديث رقم ٧٥٩ .

وما من ليلة من الليالي طوال هذا الشهر العظيم إلا ولله (عز وجل) فيها عتقاء من النار ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، ولله عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَّلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ"(١)، فإذا ما صدق العبد ربه وأقدم عليه في هذا الشهر بنية صادقة سليمة ، يعرض نفسه على الله (تعالى) في كل ليلة كان له من باب الرحمة والغفران سبيل عظيم ، فمن صدق الله صدقه الله ، والله أعظم وأكرم من أن يرد إنسانًا وقف علي بابه تائبًا ، راجيًا ، مخبتًا ثلاثين ليلة خائبًا.

ثم إن الفضل العميم في هذا الشهر بلا حدود يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "جَعَلَ الله صِيَامَهُ فَرِيضَةً ، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا ، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ ، وَشَهْرُ الْمُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِي رِزْقِ الْمُؤْمِنِ فِيهِ ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ! (٢)، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن الله (عز وجل) في الحديث القدسي: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"(٣) ؛ وذلك لأن الصيام سرٌ بين العبد وخالقه .

والصوم جنة أي وقاية من عذاب الله ، لكنه أيضًا وقاية من الوقوع في الأخطاء ، فمن كان الصوم له جنة ، ووقاية من الوقوع في المعاصي في الدنيا كان بفضل الله شفيعاً له في الآخرة ، وحائلاً بينه وبين عذاب الله (تعالى) ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ

---

(١) سنن الترمذي: أبواب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان ، حديث رقم ٦٨٢.
(٢) صحيح ابن خزيمة: كتاب الصيام ، باب فضائل شهر رمضان إن صح الخبر، حديث رقم ١٨٨٧.
(٣) صحيح البخاري : كتاب الصوم ، باب هل يقول إني صائم إذا شتم ، حديث رقم ١٩٠٤.

النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ"[1].

● ● ●

(١) مسند أحمد: ج١١/ ص ١٩٩ ، حديث رقم ٦٦٢٦.

من فضائل الصلاة

الصلاة عماد الدين ، وهي صلة بين العبد وخالقه ، وقد خصها رب العزة (سبحانه وتعالى) بأن فرضها من فوق سبع سماوات ، وجعلها خمسًا في العمل وخمسين في الأجر ، من حافظ عليها كانت له نورًا وضياء وبرهانًا يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا ضياءً ولا برهانًا يوم القيامة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلَآنِ – أَوْ : تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ عَلَيْك ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا "[1].

وقد خصها ربنا (عز وجل) بكثير من الفضل والفضائل ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ"[2].

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إلى اللهِ؟ قال:" الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا". قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: " بِرُّ الْوالِدَيْنِ ". قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ ؟ قال: "الْجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ"[3]، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ "[4].

ويزداد هذا الفضل لمن يؤدي الصلاة في جماعة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"[5]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ ، حديث رقم ٢٢٣.
(٢) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ عَقِبَهُ ، حديث رقم ٧ .
(٣) صحيح البخاري: كتاب الصلاة ، بَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا ، حديث رقم ٥٢٧ .
(٤) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ، بَابُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانِ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ ، حديث رقم ١٦ .
(٥) صحيح البخاري: كتاب الأذان ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ وَكَانَ الأَسْوَدُ: «إِذَا فَاتَتْهُ الجَمَاعَةُ ذَهَبَ إِلَى مَسْجِدٍ آخَرَ» وَجَاءَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «إِلَى مَسْجِدٍ قَدْ صُلِّيَ فِيهِ، فَأَذَّنَ وَأَقَامَ وَصَلَّى جَمَاعَةً»، حديث رقم ٦٤٥ .

جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ"(1).

وأعظم من هذا كله شمول رب العزة لمن كان قلبه معلقًا بالمساجد بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمامٌ عادِلٌ ، وشابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله (تعالى) ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في الله: اجتَمَعا عَلَيهِ ، وتَفَرَّقَا عَلَيهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصبٍ ، وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخافُ الله ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاها ، حتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ الله خالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"(2) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "منْ غدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ ، أعدَّ الله لَهُ في الجنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدا أَوْ رَاحَ"(3) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ"(4) ، ثم إن الله (تعالى) يختص قُوَّامَ الليل بمزيد فضله وجزيل ثوابه ، حيث يقول الحق سبحانه : ﭐﱡ □ بن بى بي * □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ □ □* □ □ □ □ □ □* □ □ □ * □ □ □ □ □ □ ﱠ"(5)، ويقول سبحانه في شأن قُوَّامِ الليل وجزائهم: ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نى ني ﱠ(6)، وعن عائشة (رَضي الله عنها) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) كَان يقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حتَّى تتَفطَرَ قَدمَاهُ ، فَقُلْتُ لَهُ ، لِمَ تصنعُ هَذَا يا رسولَ الله ، وقدْ غفَرَ الله لَكَ مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أكُونَ عبْداً شكُوراً؟"(7) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم)

---

(1) صحيح مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ ، حديث رقم ٦٢٠ .

(2) صحيح البخاري: كتاب الآذان ، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ ، حديث رقم ٦٦٠ .

(3) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، بَابُ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا، وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ ، حديث رقم ٢٨٥ .

(4) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب الآذان ، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ ، حديث رقم ٦٥٩ ، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ ، حديث رقم ٢٧٥ .

(5) الذاريات : ١٥-١٩ .

(6) السجدة : ١٦-١٧ .

(7) صحيح البخاري: كتاب التفسير ، بَابُ {لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح: 2] ، حديث رقم ٤٨٣٧ .

وسلم) : "أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ "[1] ، فقيام الليل شرف وعز في الدنيا ونور وفلاح في الآخرة ، وهي من أكثر الأعمال التي يمحو الله بها السيئات قال (تعالى) : ُّ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جمَّ[2]، وقال (صلى الله عليه وسلم): "الصَّلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعَةِ، كفَّارةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغشِ الكبَائِرُ" [3] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا"[4].

ومن فضائل الصلاة أن من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله (عز وجل) يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَن صلَّى الصُّبحَ في جماعةٍ فَهوَ في ذمَّةِ اللهِ"[5]، كما أن ملائكة الله (عز وجل) يتعاقبون بالليل والنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيسأل الله الملائكة كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون ، فيكتبون عند الله (تعالى) من المصلين الذاكرين، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " يتعاقبون فيكم ملائكةٌ باللَّيلِ وملائكةٌ بالنَّهارِ ويجتمعون في صلاةِ العصرِ وصلاةِ الفجرِ ، ثمَّ يعرُجُ الَّذين باتوا فيكم فيسألُهم وهو أعلمُ بهم : كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يُصلُّون وأتيناهم وهم يُصلُّون "[6].

والمواظبة على الصلاة من أخص سمات المؤمن، فإذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان قال رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) :" إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ

---

(١) سنن الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، حديث رقم ٢٤٨٥ .
(٢) هود: ١١٤.
(٣) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس، حديث رقم ٢٣٣.
(٤) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، حديث رقم ٥٢٨ ، صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب فضل الصلوات الخمس، حديث رقم ٦٦٧.
(٥) مسند أحمد: ج ٣١ / ص ١٠٣ ، حديث رقم ١٨٨٠٣.
(٦) متفق عليه : صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر، حديث حديث رقم ٥٥٥. صحيح مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، حديث رقم ٦٣٢.

، فَإِنَّ الله (تعالى) يَقُولُ: ﱡﭐ□ □ □ □ □ □ □ ﯼ ﯽ □ ﯿ □ □ ﰀ □ □ □ □□ □□ □ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅﱠ[١]، ولو يعلم الناس ما في الصبح والعتمة لأتوهما ولو حبوا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) أَنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: " لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا"[٢].

وانطلاقًا من هذا كله حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من التقاعس عن الصلاة ، فقال :" مَا مِن ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ إِلاَّ قدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ "[٣] ، إذ إن الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ففيها نجاته أو هلاكه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" أَوَّل ما يُحَاسَبُ بهِ العبدُ يومَ القيامةِ من عمله صلاته ، فإنْ صَلحَتْ فقد أفلح ونجح ، وإنْ فسَدَتْ فقد خاب وخسر"[٤] ، وقد سئل (صلى الله عليه وسلم) أي العَمَل أحَب إلى الله؟ قالَ :" الصَّلاة على وقتِها"[٥]، فمن حافظ على الصلاة كانت له نورًا وبرهانًا ، ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا حياة ولا برهانًا يوم القيامة .

● ● ●

---

(١) التوبة :١٨.

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري: كتاب الأذان ، باب الاستهام في الأذان ، حديث رقم ٦١٥. صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف ، حديث رقم ٤٣٧.

(٣) سنن ابي داود : كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة ، حديث رقم٥٤٧.

(٤) سنن الترمذي: كتاب أبواب الصلاة ، باب أول ما يحاسب عنه العبد ، حديث رقم٢١٣. رقم٢١٣.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ، باب في التشديد في ترك الجماعة ، حديث رقم٥٤٧.

أدب الولائم في رمضان

لا شك أن رمضان هو شهر الجود والكرم والسخاء ، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس ، كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان.

وقد حثنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) على إفطار الصائمين ، فقال (صلى الله عليه وسلم) :" مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ" (١).

وديننا دين الكرم والسخاء وإطعام الطعام بلا شك ، فعن سيدنا عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) قال :" قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة فانجفل الناس إليه وقالوا قدم رسول الله ، قدم رسول الله ، فأتيته فنظرت في وجهه فعرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعت منه (صلى الله عليه وسلم) : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ "(٢).

ولا شك أيضًا أن إطعام الطعام وإقامة موائد الإفطار إنما تجمع الأهل والأحبة والأصدقاء ، وتزيد الألفة ، وتزيل الوحشة ، وتجمع النافر ، وتؤلف بين القلوب .

غير أن بعضنا قد يغفل عن آداب هذه الموائد وتلك الولائم ، فيدعو إليها صفوة الأغنياء وعِلْيةَ القوم سواء من الأهل أم من غيرهم ، وينسون أهل الاستحقاق الحقيقي من فقراء الأهل ، وينسون الأيتام والمساكين ، ومن لا حظ لهم من جاه أو مال .

وقد نهانا ديننا ونبينا عن نسيان هؤلاء أو تجاهلهم أو إقامة الولائم دون دعوتهم ، فقال (صلى الله عليه وسلم) :"بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ ، يُدْعَى إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ ، وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ"(٣).

وقد نعى القرآن الكريم على المشركين عدم إكرامهم لليتيم وعدم حضهم على طعام المسكين ، فقال سبحانه :ٱ□□ □ سم □ □*

---

(١) سنن الترمذي : أبواب الصوم ، باب فضل من فطر صائمًا. حديث رقم ٨٧.
(٢) سنن الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، حديث رقم ٢٤٨٥ .
(٣) صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي ، حديث رقم ١٤٣٢.

□ □ □ □ * □ □ □ □ * □ □ □ □ □ □ (١)،
ويقول سبحانه : ﴿ □ □ يم يى* □ □ □ □ * □ □ □ □ (٢).
ويقول سبحانه في شأن أهل النار: ﴿ □ □ □ □ * □ □ □ □ □ □ □ □ □ (٣).
ويقول سبحانه: ﴿ لخ لم * مج مح مخ * نج نح نخ نم نه □ هم * يج يح يخ يم □ □ * □ □ □ □ □ * □ □ □ □ * لخ لم لى لي □ * □ □ □ □ (٤).
وقد حثت السنة النبوية على إجابة الدعوة ما لم يكن هناك إثم أو معصية ، فمن دُعي فليُجب ، ثم على الجميع أن يتأدب بأدب الإسلام في عدم المبالغة أو المفاخرة أو الإسراف ، أو الخروج بهذه الولائم عن مقاصدها الشرعية إلى المباهاة والمفاخرة ، فذلك كله من الإسراف والتبذير المنهي عنه في قوله (تعالى): ﴿ □ □ □ □ نم نى □ (٥)، وقوله (تعالى) : ﴿ □ □□ □ بج بح بخ لم له مج مح مخ مم (٦).

• • •

(١) الفجر : ١٧ -٢٠.
(٢) الماعون: ١-٣.
(٣) المدثر : ٤٣-٤٤.
(٤) الحاقة: ٣٠-٣٧.
(٥) الأعراف : ٣١.
(٦) الإسراء: ٢٦-٢٧.

رمضان شهر الرجاء

فتح رب العزة (سبحانه وتعالى) باب الرجاء واسعًا ، وجعله أوسع ما يكون في رمضان ، ونفحات الله (سبحانه و تعالى) تعم الخلائق في كل وقت وحين ؛ لا سيما في شهر رمضان ، فهو شهر المغفرة والرحمة والرجاء، من أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر التهجد والقيام قال (تعالى): ﴿ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ ين □ □ * □ ني نى □ □ □
بج بح بخ ﴾[1].

ولما سُئل أحد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أرجى آية في القرآن ؟ قال: هي قوله (تعالى) : ﴿ ين □ □ □
□ □ □ □ □ بج بح بخبم به تج تح تخ تمته ثم □ جم
□ ﴾[2]، فإذا كان رب العزة قال لعباده الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ؛ فكيف بخطابه سبحانه لعباده المؤمنين ، الصائمين ، القائمين ، الراكعين ، الساجدين ، الذاكرين ، المتصدقين ، الأصفياء؟! ويقول رب العزة (سبحانه وتعالى) في الحديث القدسي :" يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَ تُشْرِك بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"[3].

فرحمة الله تعالى واسعة ، وفضل الله عظيم ، وعن سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال : قدم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى، إذْ وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وَالله هِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ: لله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ

(١) السجدة: ١٦- ١٧ .
(٢) الزمر: ٥٣.
(٣) سنن الترمذي: أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، حديث رقم ٣٥٤٠.

بِوَلَدِهَا"[1]، ولقد ادخر الله (عز وجل) لذاته تسعة وتسعين جزءً من الرحمة يرحم بها عباده في الآخرة ، وأنزل إلى الأرض جزءً واحدًا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق فيما بينهم.

إضافة إلى أن باب التوبة والمغفرة والقبول مفتوح حتى قيام الساعة ، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"[2] .

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربِّه (عز وجل) قال: "أَذْنَبَ عبْدٌ ذَنْبًا ، فقال: اللهم اغْفِرْ لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدي ذَنْبًا ، فعلِمَ أنَّ له ربًّا يغفِر الذَّنْبَ ، ويأخُذ بالذَّنْب ، ثم عاد فأذْنَبَ ، فقال: أي رب ، اغْفِرْ لي ذَنْبي ، فقال تبارك وتعالى : عبدي أذْنَبَ ذَنْبًا ، فعلِمَ أنَّ له ربًّا يغفِرُ الذَّنْبَ ، ويأخُذُ بالذَّنْب ، ثم عاد فأذْنَبَ ، فقال : أي رب ، اغْفِرْ لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذْنَبَ عبدي ذَنْبًا ، فعَلِمَ أنَّ له ربًّا يغْفِرُ الذَّنْبَ ، ويأخُذ بالذَّنْب ، اعمَلْ ما شئِتَ ؛ فقد غفَرْتُ لَكَ"[3] ؛ فما أعظم أبواب الرجاء وأبواب القبول في رمضان ، فرمضان شهر النفحات الإلهية ، والعطايا النورانية ، ورجاء المؤمنين في المولى (سبحانه وتعالى) كبير ؛ لأنه (تعالى) صاحب فضل عظيم .

● ● ●

رمضان شهر مكارم الأخلاق

شهر رمضان هو شهر مكارم الأخلاق ، والأخلاق ركن أساس في

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الرقاق، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث رقم ٢٧٥٤.

(٢) مسند أحمد: ج ٣٢/ ص ٣٩٦ ، حديث رقم ١٩٦١٩.

(٣) صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، حديث رقم ٢٧٥٨.

رسالة الإسلام ، بل إن الأخلاق هي القاسم المشترك بين الأديان جميعًا ، وفي الوصايا العشر التي جاءت في أواخر سورة الأنعام حيث يقول الله (عز وجل): ﴿ تح تخ تم ته ثم جم حم خم سم ﴾ [1] قال عنها سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : هذه من المشتركات الإنسانية التي لم تنسخ في أي ملة من الملل ، أو أي دين من الأديان ، أو أي شريعة من الشرائع، إذ لا يوجد دين أو شريعة أباحت الكذب ، أو الغدر ، أو الخيانة، أو عقوق الوالدين، أو أكل مال اليتيم، أو الظلم ، وكان رسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ" [2]، فمن خرج عن الأخلاق والقيم لم يخرج على منهج الإسلام فحسب بل خرج على سائر الشرائع السماوية والتعاليم الإلهية والأخلاق الفاضلة ، وانسلخ من القيم الإنسانية ، ولقد مدح القرآن الكريم نبينا (صلى الله عليه وسلم) بقوله : ﴿ ﴾ [3] ، ولما سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالت: "كان خلقه القرآن" [4]، والهدف الأسمى لرسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) هي:" إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ

---

(١) الأنعام: ١٥١-١٥٣.

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد ، باب الحياء، حديث رقم ٤١٨٣، ومسند أحمد: ج ١٨ ، ص ٢٢٣ ، حديث رقم ١٧٠٩٨.

(٣) القلم: ٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب خلق أفعال العباد، ص ٨٧، وفي كتاب الأدب المفرد، حديث رقم ٣٠٨، والإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ٢٤٦٠١.

الأَخْلاق"[١]، وقال (صلى الله عليه وسلم) "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا ، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا ، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ ويُؤْلَفُونَ ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ ، الْمُتَفَيْهِقُونَ"[٢]، ولما سُئِلَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : " تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ "[٣].

والأمم التي لا تقوم على الأخلاق تحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها ، والأخلاق هي الثمرة الحقيقية للعبادة، ووصية نقولها للناس جميعا: حافظوا على صيامكم باتباع مكارم الأخلاق، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) القدوة والمثل في ذلك يقول الله (عز وجل) : ﱡ □ □

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم □ □ □ نمنى □ □ □ □ يى □

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ برﱠ[٤].

ويقول الله (تعالى) : ﱡ ٱلم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم □ □ يى □ □ □ نى نم * □ ﱠ[٥]

ويقول (صلى الله عليه وسلم) :" أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رِبَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإن كَانَ مازِحًا، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ "[٦].

● ● ●

---

(١) مسند البزار : ج ١٥/ ص ٣٦٤ ، حديث رقم ٨٩٤٩، والسنن الكبرى للبيهقي: كتاب الشهادات ، بابُ بَيانِ مَكارِمِ الأخلاقِ ومَعاليها التى مَن كان مُتَخَلِّقًا بها ، حديث رقم ٢٠٧٨٢.

(٢) سنن الترمذي : سنن الترمذي: أبواب البر والصلة ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الأَخْلَاقِ ، حديث رقم ٢٠١٨ .

(٣) سنن الترمذي: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، حديث رقم ٢٠٠٤.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) آل عمران: ١٣٣ -١٣٤.

(٦) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ، حديث رقم٤٨٠٠ .

رمضان شهر البر والصلة

فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، كان أجود فيه بالخير من الريح المرسلة ، من فطر فيه صائمًا فله مثل أجره من دون أن ينقص من أجر الصائم شيئًا ، ومن أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، فهو مجال واسع للبر وبخاصة إطعام الطعام الذي هو من سمات هذا الشهر الكريم ، وسمة من سمات ديننا الحنيف ، يقول سيدنا عَبْد الله بْنُ سَلامٍ (رضي الله عنه) : لما قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة انجفل الناس قِبلهَ ، فقالوا : قدم رسول الله ، قدم رسول الله ، فجئت في الناس لأنظر إلى وجهه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء تكلم به أن قال :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ" (١).

فنلاحظ أن الحديث اشتمل على أربع خصال : ثلاث منها تتصل بالعلاقات بين الناس ، وهي : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وصلة الأرحام ، والرابعة تتعلق بالعلاقة بين العبد وربه ، وهي: الصلاة بالليل والناس نيام .

كما أن إطعام الطعام لا يجب أن نحصر فهمه على إطعام الشخص كفرد ، وإنما يتجاوز المعنى ذلك إلى إطعام الفرد وأهل بيته أجمعين.

سواء أكان إطعامًا مباشرًا كالطعام المجهز ، أم كان إطعامًا غير مباشر كتقديم ما يصلح صنعه طعامًا ، أم كان بطريق دفع المال الذي يشترى به الطعام ، مع التوسع في سائر أعمال البر في هذا الشهر الفضيل الكريم .

وهو مع ذلك شهر الصلة بين الأهل والأقارب ، فالصدقة على الفقير صدقة ، وعلى القريب صدقة وصلة ، وخير الناس خيرهم لأهله ، حيث كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول : " خَيْرُكُمْ

---

(١) سنن الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، حديث رقم٢٤٨٥، وسنن ابن ماجه: أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها ، باب ما جاء في قيام الليل ، حديث رقم ١٣٣٤.

خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي" (١).

وقد سار أصحابه (صلى الله عليه وسلم) على هذا البر ، ومن ذلك ما كان من سيدنا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) الذي خرج في سفر ومعه مالك بن دينار ، فلقيه أعرابي ، فهش له ابن عمر وأكرمه وأحسن لقاءه ، وخلع عمامته وأهداه إياها ، ثم أعطاه دابته التي كان يركبها ، فقال له ابن دينار لقد أحسنت وزدت ، وإن هؤلاء الأعراب يرضون باليسير ، فقال ابن عمر (رضي الله عنهما) : إن أبا هذا كان ودًّا لعمر ، وإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " إِنَّ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ " (٢).

ورمضان لا مجال فيه للتشاحن ولا للمتشاحنين ، وإذا كان رمضان شهر الصلة ففي مقدمة هذه الصلة يأتي أمران :

الأمر الأول: صلة الرحم ، حيث يبينها النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث القدسي الذى يرويه عن رب العزة سبحانه : "أَنَا الرَّحْمَنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ"(٣)، ثم قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى: ُّبن بي بى بر □ □ تن تى تي □* □ □ □ □ □ □ □ □ □ ّ(٤) (٥)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا إِلاَّ امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا" (٦) .

---

(١) سنن الترمذي: أبواب المناقب ، باب ما جاء في أزواج النبى (صلى الله عليه وسلم) ، حديث رقم ٣٨٩٥، وسنن ابن ماجه: كتاب النكاح ، باب حسن معاشرة النساء ، حديث رقم ١٩٧٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة ، باب صلة أصدقاء الأب والأم، حديث رقم ٢٥٥٢.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، حديث رقم ١٦٩٤، وسنن الترمذي: سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، حديث رقم ١٩٠٧ .

(٤) محمد: ٢٢-٢٤.

(٥)متفق عليه، صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب وتقطعوا أرحامكم، حديث رقم ٥٩٨٧، وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم ٢٥٥٤ .

(٦) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، حديث رقم ٢٥٦٥ .

الأمر الثاني : صلة كل من حولك فلا تقطع أحدًا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ"[1] ، وليس معنى ذلك أن يبدأ بالسلام إذا لقيه فى الطريق فحسب ، إنما يبدأ بالسلام بكل ما تعنيه كلمة السلام بمفهومها الشامل ، بأن يكون السلام سلامًا حقيقيًّا لا شكليًّا ، ليس مجرد سلام باللسان ونكران بالقلب، إنما هو سلام مع النفس، مع الصديق، مع الأهل، مع الجار ، مع الزميل، مع الإنسان ، مع الحيوان ، مع الجماد، مع الكون كله، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) : ﴿ بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جم حم خم ﴾[2].

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب الأدب ، باب الهجر، حديث رقم ٦٠٧٧، وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ، حديث رقم ٢٥٦٠.

(٢) البقرة : ٢٠٨.

رمضان شهر الدعاء والإجابة

رمضان شهر البركات والنفحات ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ لِرَبِّكُمْ (عز وجل) فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا"[١]، فعلينا أن نتعرض لنفحات الله في هذا الشهر الكريم بالصيام، والقيام، والدعاء .

ومن أجل التعرض لمواطن الخير والبركات يجب أن يتضرع الإنسان إلى ربه مخلصًا منيبًا ، قال سبحانه : [٢]، ويقول (تعالى) : [٣]، فالدعاء عبادة لله (تعالى) ، والله سبحانه لا يرد من دعاه، ولا يترك ضعيفًا احتمى بحماه.

وهناك صلة بين الصيام والدعاء ، فكل صائم له نصيب من قبول دعائه عند الله (تعالى) ، وهذا ما بينه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله : " ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ (عز وجل)وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين [٤].

وإذا كان الحديث ذكر أصنافا دعوتهم مستجابة ، فعلى المسلم أن يحذر من الظلم والاعتداء على الآخرين ؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) حذر من دعوة المظلوم ، لأنه يرتكن إلى قوي عزيز ، والله (سبحانه وتعالى) لا شك ناصره ومعينه ، قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : " اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ"[٥].

والدعاء سلاح المؤمن وهو خلق من أخلاق الأنبياء والأصفياء ، يقول أحد الحكماء : عجبت لمن ابتلي بالمرض كيف يغفل عن دعوة

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني: ج ٣/ ص ١٨٠ ، حديث رقم ٢٨٥٦ .
(٢) البقرة: ١٨٦.
(٣) غافر: ٦٠.
(٤) سنن الترمذي: أبواب الدعوات، باب في العفو والعافية، حديث رقم ٣٥٩٨، وسنن ابن ابن ماجه: أبواب الصوم، باب في الصائم لا ترد دعوته، حديث رقم ١٧٥٢.
(٥) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، حديث رقم ١٤٩٦.

أيوب (عليه السلام) : ﴿ □ □ □ □ يم يي﴾[١]، ومن ابتلي بالضيق كيف يغفل عن دعوة يونس (عليه السلام) : ﴿ □ □ نى ني □ ير □ □ ين﴾ [٢] ، وعجبتُ لمن ابتُـلي بخوفٍ كيف يغفل عن قول الله (عز وجل) : ﴿نج نح نخ نم﴾[٣]، وعجبتُ لمن ابتُـلي بمكرِ الناس كيف يغفل عن قوله (تعالى) : ﴿ □ □ □ □□ □ □ □ □ □﴾[٤].

وهذه دعوة إبراهيم (عليه السلام) لولده نرى بركتها إلى يوم القيامة، حيث دعا ربه (عز وجل) فقال : ﴿ تن تى تي □﴾ [٥] ، وحيث دعا ربه (عز وجل) فقال: ﴿ □ يم يي □ □ □ □﴾ [٦]، وقال: ﴿ □ □ □ □ □ □ لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه □ هم □ يج يح يخ يم □ □ □□ □ □﴾ [٧]، فاستجاب له ربه فجعل البلد آمنا والحرم آمنا آمنا والقلوب تهوي إليه من كل حدب وصوب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهذا نبي الله يوسف (عليه السلام) يدعو ربه فيقول : ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □﴾[٨]، فيستجيب الله (تعالى) له : ﴿ □ □ نى ني □ ير □ □ ين □﴾ [٩].

وهذا نبي الله أيوب (عليه السلام) يدعو ربه فيقول : ﴿ □ □ □ □ يم يي﴾[١٠]، فتأتيه الإجابة: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ بر □﴾ [١١].

---

(١) الأنبياء : ٨٣.
(٢) الأنبياء : ٨٧.
(٣) آل عمران : ١٧٣.
(٤) غافر : ٤٤.
(٥) إبراهيم: ٣٧.
(٦) إبراهيم : ٣٥.
(٧) البقرة : ١٢٦.
(٨) يوسف :٣٣.
(٩) يوسف :٣٤.
(١٠) الأنبياء : ٨٣.
(١١) الأنبياء : ٨٤.

وهذا نبي الله زكريا (عليه السلام) يدعو ربه فيقول: ﴿ □ □ □ □ □ □ * □ □ □ □ ﳓ ﳔ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱬ * □ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ □ □ ﱱ ﱲ ﴾[1]، فيستجيب له ربه (عز وجل) فيقول : ﴿ ﱳ □ □ □ □ ﱴ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾[2].

والدعاء ليس سلاح الضعفاء كما يتوهم البعض ، الدعاء سلاح الأقوياء الآخذين بالأسباب ، المؤمنين بأن الأسباب لا تؤدي إلى النتائج بطبيعتها، إنما برحمة الله (تعالى) وعونه وسداده وإرادته وتوفيقه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو الله بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ بها إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يعجل لَهُ دَعْوَتَهُ ، وإِمّا أَن يَدَّخِرَها لَهُ في الآخرة ، وإمّا أن يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا. قَالُوا : إِذًا نُكْثِرُ . قَالَ: (الله أَكْثَرُ)"[3]، فلا يظنن أحد أن الإنسان الذي يلجأ إلى ربه بالدعاء يرجع صفر صفر اليدين ، بل لا شك أن نعمة الله عليه في القبول واسعة ، إما بإجابة دعوته ، أو أن يدفع عنه من السوء مثلها ، أو أن يدخرها له يوم القيامة ، وليكن بدء الدعاء بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ويختم بمثل ذلك، فإن الله (عز وجل) أكرم من أن يقبل الصلاتين ويرد ما بينهما والإجابة من الله (تعالى) .

فما أحوجنا إلى الدعاء المصحوب بالأمل لا باليأس ، ولا بالإحباط ، ولا بالقنوط من رحمة الله (عز وجل) ، وإذا أردنا استجابة للدعاء فإن لذلك شروطًا وآدابًا ، من أهمها : الإيمان ، وحسن الظن بالله (تعالى) ، وطيب المطعم والمشرب والملبس ، فلما سأل سيدنا سعد بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، قَالَ لَهُ (صلى الله عليه وسلم) : " يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِه"[4].

---

(١) مريم: ٤-٦.
(٢) الأنبياء : ٩٠.
(٣) مسند أحمد : ج ١٧/ ص ٢١٣ ، حديث رقم ١١١٣٣.
(٤) المعجم الأوسط للطبراني ج ٦/ص ٣١١ ، حديث رقم ٦٤٩٥.

• • •

رمضان شهر الانتصارات

رمضان شهر الانتصارات لا ريب ، ففيه كان الانتصار في يوم بدر، وفيه كان الفتح الأعظم فتح مكة ، وفيه كان انتصار المسلمين في عين جالوت ، وفيه أعظم انتصارات عصرنا الحديث نصر العاشر من رمضان ، ولنا في ذلك وقفات :

الوقفة الأولى : مع يوم بدر بعد أن أذن الله (عز وجل) للمستضعفين المظلومين من أصحاب سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يدافعوا عن أنفسهم ، فقال (سبحانه وتعالى) : ﴿ لم لى لي ﴾ [1] ، فنصرهم من ضعف وقلة ، وأعزهم بعد أن كانوا أذلة مستضعفين ، فقال سبحانه: ﴿ ﴾ [2] ، فهو الذي أنزل الملائكة ، وهو الذي ثبتهم، وهو الذي ألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، حيث يقول سبحانه : ﴿ ﴾ [3].

فما كان لهذه القلة من المسلمين أن تقتل وتهزم هذه الكثرة من المشركين لولا تثبيت الله (عز وجل) للمسلمين ، ونصره إياهم على المشركين لبغيهم وظلمهم وطغيانهم ، ذلك أن جيش المشركين هو الذي خرج إلى المدينة متجبرًا مختالًا يريد استئصال شأفة دعوته (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، وكان أهل المدينة قد بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على حمايته داخل المدينة مما يحمون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : "أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ، فتكلم جماعة من المهاجرين فأحسنوا ، وكلما تكلم واحد منهم يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) :

---

(١) الحج : ٣٩.
(٢) آل عمران: ١٢٣- ١٢٦.
(٣) الأنفال: ١٢.

أشيروا علي أيها الناس ، حتى قَالَ سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ : وَاللهِ لَكَأَنّك تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: أَجَلْ ، قَالَ : فَقَدْ آمَنّا بِك وَصَدّقْنَاك ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقّ ، وَأَعْطَيْنَاك عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا ، عَلَى السّمْعِ وَالطّاعَةِ ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَك ، فَوَالّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَك، مَا تَخَلّفَ مِنّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوّنَا غَدًا، إنّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ صُدُقٌ فِي اللّقَاءِ، لَعَلّ اللهَ يُرِيك مِنّا مَا تَقَرّ بِهِ عَيْنُك ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ .

ثُمّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ امْضِ لِمَا أَرَاك اللهُ فَنَحْنُ مَعَك، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَك كَمَا قَالَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ لِمُوسَى : " اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبّكَ فَقَاتِلَا إنّا هَهُنَا قَاعِدُونَ " وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبّك فَقَاتِلَا إنّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ ، فَوَالّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَوْ سِرْت بِنَا إلَى بِرْكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَك مِنْ دُونِهِ حَتّى تَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ"[1].

الوقفة الثانية: عندما اختار النبي (صلى الله عليه وسلم) منزلاً لأصحابه قال له الحباب بْن الْمُنْذِرِ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ ، أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ ، ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً ، ثُمّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : " لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرّأْيِ"[2] ، وذلك إعلاءً لمبدأ الشورى في الإسلام .

على أن ما حدث في يوم بدر كان دفاعًا ، حيث كان يدافع المسلمون فيه عن أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ومدينتهم ، فلم يكن خروجهم للقتال اعتداءً إنما كان لرد العدوان .

الوقفة الثالثة : مع فتح مكة ، فقد جاء نتيجة لغدر قريش وتبييتها مع حلفائها من بني بكر لخزاعة حلفاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حيث بيتوهم بليل وقتلوهم رُكّعًا وسُجّدًا ، ومع ذلك

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ٢/ ١٨٨.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، ١٩٢/٢.

لما قال أحد الناس يوم فتح مكة : "اليَوْمَ يَوْمُ المَلْحَمَةِ ، اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ "[1]، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : "اليوم يوم المرحمة ، اليوم يعظم الله الكعبة"[2] ، وقال (صلى الله عليه وسلم) قولته المشهورة : "يا أهل مكة ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : "اذهبوا فأنتم الطلقاء" [3].

الوقفة الرابعة : يوم العاشر من رمضان ، فقد كان يوم الدفاع عن الأرض والعرض والكرامة ، ألم نقل : إن القتال في الإسلام لم يكن يومًا بغيًا أو عدوانًا ، إنما هو حرب دفاعية عن الأرض ، والعرض ، والوجود .

أما النصر الأكبر والأعظم في هذا الشهر الكريم فهو الانتصار على النفس وشهواتها وجبروتها وطغيانها ، وقد قالوا : إن الإنسان لا يستطيع أن يواجه عدوًا وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له ، متحكم فيه، متغلب عليه.

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب أين ركز النبي الراية، حديث رقم ٤٢٨٠ .
(٢) أخرجه الأموي في المغازي كما في فتح الباري لابن حجر، ٩/٨.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ٤١٢/٢.

رمضان شهر الأمل

شهر رمضان شهر عظيم مفعم بالأمل ، فيه الحسنات مضاعفة ، وفيه تفتح أبواب الجنة ، وتغلق أبواب النيران ، فحق لباغي الخير أن يقبل ، ويشمر عن ساعد الجد والعمل ، وحق لباغي الشر أن يقصر.

هذا وقد أمن سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على دعاء جبريل (عليه السلام) إذ قال : "مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَمَاتَ ، فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعَدَهُ الله ، قُلْ : آمِينَ"فقال : آمِينَ"[1].

وغرس الإسلام الأمل في نفوس الناس ، من خلال قصص القرآن الكريم، فإبراهيم (عليه السلام) جاءته الملائكة فبشرته بالولد، بعد أن بلغ من الكبر عتيا ، قال الله (تعالى) : ﴿ ﴾[2]، وقال (تعالى) : ﴿ ﴾[3]، وسيدنا زكريا (عليه السلام) تقدم به السن ، وضعفت قواه ، ووهن عظمه ، وكانت امرأته عاقرًا ، فلم ييأس ودعا ربه : ﴿ ﴾[4].

وهنا لفتة بلاغية في قوله: ﴿ ﴾، فهناك فرق بين التعبير بقوله (تعالى) ﴿ ﴾ كما جاء في النص الشريف ، وقولهم : واشتعل شيب الرأس ، فعندما تقول اشتعلت النار في البيت فقد تكون اشتعلت في بعض أركانه أما حينما تقول اشتعل البيت نارًا فيكون قد ألمت به النار من جميع أركانه ، وجوانبه ونواحيه ، بما يعني أن سيدنا زكريا (عليه السلام) كان مفعمًا بالأمل في فضل الله (تعالى) .

ومن خلال قصة سيدنا زكريا (عليه السلام) ندرك كيف عالج القرآن أسبابًا في ظاهرها توميء إلى اليأس ، لكن في باطنها الفرج والأمل ، فقد سمع ربه نداءه ، واستجاب دعاءه ، وبشره بيحيي (عليه السلام) لم يجعل له من قبل سميًّا.

---

(١) صحيح ابن حبان: باب الأدعية، ذكر رجاء دخول الجنان، حديث رقم ٩٠٧.
(٢) الحجر: ٥٤ ـ ٥٥ .
(٣) هود: ٧١ .
(٤) مريم: ٤.

فما أجمل الأمل ، وما أصعب اليأس ، وما أشقه ، وما أخطره ، اليأس مدمر للنفوس ، محبط للآمال ، مولد للكآبة ، مثبط للهمم ؛ لذا نهى الإسلام عن اليأس والتأييس ، والإحباط والتحبيط ، وعدّه بعض أهل العلم من الكبائر .

يقول الحق (سبحانه وتعالى) على لسان سيدنا يعقوب (عليه السلام) : ﴿ لم لى لي ﴾[1].

فإذا كان الإنسان في ضيق أو فاقة ، فليعلم أن خزائن الله ملأى لا تنفد أبدا ، وأن الأيام دول بين عسر ويسر، فغني اليوم قد يكون فقير الغد ، وفقير اليوم قد يكون غني الغد ، قال الشاعر:

ألمْ ترَ أنَّ الفقرَ يُرجى له الغنَـى
وأَنَّ الغنى يُخشى عَليهِ مِنَ الفقر

ويقول الحق سبحانه : ﴿ نى ني ﴾[2] ، ويقول سبحانه: ﴿ [3]، ويقول سبحانه : ﴿ [4].

وإن قيل لكم : إن الناس قد جمعوا لكم وتألبوا عليكم فاخشوهم، فلكم في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه أسوة حسنة ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ [5].

وسئل أحد الصالحين: أي آية في القرآن الكريم أرجى؟، فقال : قوله (سبحانه وتعالى) : ﴿ [6].

---

(١) يوسف: ٨٧.
(٢) الطلاق: ٢-٣.
(٣) الطلاق: ٤.
(٤) فاطر: ٢.
(٥) آل عمران : ١٧٣-١٧٤.
(٦) الزمر : ٥٣.

فيجب أن نتحلى بالأمل في غدٍ أفضل ، ومستقبل مشرق ، وفتح من الله قريب ، لا نيأس ولا نجزع ، ولا نتشاءم ؛ لأن عدونا يريد أن يصل بنا إلى اليأس والإحباط ، وأنه لا جدوى ولا أمل لنخضع ونستسلم ، غير أن ديننا وثقافتنا لا يعرفان لليأس طريقًا ، فنحن ذوي أمل كبير ، يقول الشاعر:

قـال: السَّمـاءُ كئيبـــة !
وتجهَّمَـــا
قلت: ابتَسِمْ يكْفِي التّجهُّمُ في السَّما
قـــال: الليَالِـي جرَّعتنـي عَلقَمـا
قلت: ابتَسِـمْ ولئن جُرِّعْتَ العَلْقَمَا
فلَعـــلَّ غيْـــرَكَ إن رآك مُرنّمـا

● ● ●

رمضان شهر الإخلاص والمراقبة

الإخلاص وحسن المراقبة لله (تعالى) من أخص صفات شهر رمضان المبارك ، والإخلاص مطلوب فى كل الأوقات ، فإن الله (تعالى) لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم قال الله (تعالى) : ﴿ٱ خم □ □ □ □ سم □ □ □ □ □﴾(١) ، لاسيما في الصوم ؛ حيث قال الله (تعالى) في الحديث القدسي: "كلُّ عملِ ابن آدمَ له إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به"(٢).

ورسخ الإسلام مبدأ المراقبة في نفوس المؤمنين من خلال آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله (تعالى) : ﴿ٱ ٍّ َّ ُّ ِّ﴾(٣)، وقوله : ﴿ٱ □ □ □ □ □ □□ □ □﴾(٤)، وقوله : ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه □ □ هم □﴾(٥) فأي ورقة في برٍّ أو بحرٍ لا تسقط في أي زمن من الأزمان، ولا في أي مكان من الأمكنة إلا هو يعلمها .

فاعلم أن الله (تعالى) مراقِبٌ لك في كل فعل أو قول ، يقول (تعالى) : ﴿ٱ□ □ □ □ □ ٍّ َّ ُّ﴾(٦)، وجعل على الإنسان ملائكة كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون، وقد قص القرآن الكريم كيف علم سيدنا لقمان (عليه السلام) ابنه هذا المبدأ العظيم ، فقال : ﴿ٱ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم□ جم □ حج □ خم□ □ □ سم □ ِّ﴾(٧) .

والمراقبة لله (تعالى) هي أعلى مقام للعابدين (الإحسان) ، بأن تعبد الله (تعالى) كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فعلى العبد أن يحرص أن لا يفتقده الله حيث أمره، ولا يراه حيث نهاه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّه يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إِمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله تَعالى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ

---

(١) البينة : ٥.
(٢) صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم ١٩٠٤.
(٣) الحديد: ٤.
(٤) غافر: ١٩.
(٥) الأنعام: ٥٩.
(٦) ق: ١٨.
(٧) لقمان: ١٦.

في المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في الله: اجتَمَعا عَلَيه، وتَفَرَّقَا عَلَيه، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ، وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخافُ الله، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاها، حتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ الله خالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " (١).

وفي حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار فسدت الصخرة عليهم مدخل الكهف وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم قال أحدهم : "اللهمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللهمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ، قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : وَقَالَ الْآخَرُ : اللهمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللهمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَقَالَ الثَّالِثُ : اللهمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ الله ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي ، فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ، وَالرَّقِيقِ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ الله ، لَا تَسْتَهْزِئُ بِي ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ، اللهمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ، حديث رقم ٦٦٠، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم ١٠٣١.

مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ) [١].

وقال الله (تعالى) : ﭐﱡ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ لجلح لخ لم له مج
مح مخ مم نج نح نخ نم نه □ هم □ يج يح يخ يم □ □
□ ّ [٢] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[٣] .

● ● ●

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرًا، حديث رقم ٢٢٧٢، وصحيح مسلم: كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار، حديث رقم ٢٧٤٣.

(٢) يونس : ٦١.

(٣) سنن الترمذي: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، حديث رقم ١٩٨٧.

فضل السعي إلى المساجد وعمارتها

مكانة المساجد في الإسلام عظيمة ، يقول الحق سبحانه : ﱡ□ □
□□ □ □ □ □ ﲎ □ ﲐ □ □ ﲓ ﲔ □ □ □ □
□ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﱠ (١)، لذا كان أول ما بدأ به النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما هاجر من مكة إلى المدينة هو تأسيس المسجد النبوي الشريف ، واختار له المكان الذي بركت فيه ناقته (صلى الله عليه وسلم) فاشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه، وأسهم في بنائه بنفسه ، "فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بركَت به راحلتُه : هذا ـ إن شاء الله ـ المنزلُ . ثم دعا رسولُ الله (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) الغلامَينِ ، فساومَهما بالمَربَد ، لِيَتَّخِذَه مسجدًا ، فقالا : بل نَهَبُه لك يا رسولَ الله ، ثم بناه مسجدًا"(٢).

وقد وصف الله (تعالى) عباده المؤمنين الذين يسعون إلى المساجد بالرجال فقال سبحانه: ﱡﭐ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ □ ﱖ
□ □ □ □ □ □ □ □ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ □□ ﱥ ﱦ ﱧ □
□ ﱩ ﱪ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ □ □
□ □□ ﱠ (٣)، وفي ثواب السعي إلى المساجد يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "منْ غدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أعدَّ الله لَهُ في الجنّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدا أوْ رَاحَ"(٤)، وهو من أكثر الأعمال التي يمحو الله بها الخطايا ويرفع بها الدرجات يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله! قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ ، فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ" (٥).

---

(١) التوبة : ١٨.
(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حديث رقم ٣٩٠٦.
(٣) النور: ٣٦ ـ٣٨.
(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب الآداب، باب فضل من غدا إلى المسجد ، حديث رقم٦٦٢، وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، باب المشي إلي الصلاة ، حديث رقم ٦٦٩.
(٥) صحيح مسلم : كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء ، حديث رقم ٢٥١.

وعمارة المساجد تكون مبنى ومعنى، مبنى : ببنائها، ونظافتها ، وطهارتها، والاهتمام بها ، ففي الصحيحين أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ" [1]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه):"أَنَّ امرأةً سوداءَ كانت تَقُمُّ المسجدَ (أو شابًّا) ففقدها رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) فسأل عنها (أو عنه) فقالوا : مات قال : أفلا كنتُم آذَنْتُمونى قال : فكأنهم صَغَّروا أمرَها فقال : دُلُّوني على قبرِها، فدَلُّوه، فصلَّى عليها ثم قال: إنَّ هذه القبورَ مملوءةٌ ظُلْمةً على أهلِها وإنَّ الله (عز وجل) يُنوِّرُها لهم بصلاتي عليهم" [2].

ومعنى: بالذكر ، والصلاة ، وقراءة القرآن ، ومدارسة العلم ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :"مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"[3]، وعنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ(رضي الله عنه) قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلا قَطْعِ رَحِمٍ؟"، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: " أفلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ (عز وجل) ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإبل"[4].

● ● ●

(١) متفق عليه: صحيح البخاري : كتاب الصلاة ، باب من بنى مسجدًا ، حديث رقم ٤٥٠، وصحيح مسلم: كتاب الزهد والرقاق ، باب فضل بناء المساجد ، حديث رقم ٥٣٣.
(٢) صحيح مسلم: كتاب الجنائز ، باب الصلاة على القبر ، حديث رقم ٩٥٦.
(٣) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم ٢٦٩٩.
(٤) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، حديث رقم ٨٠٣.

تعدد طرق الخير في الرسالة المحمدية

من فضل الله (عز وجل) على عباده أن فتح لهم باب الفضل وباب الخير واسعًا ، لاسيما في شهر رمضان الكريم ، فمن صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، لا يوافقها عبد مؤمن ولا امرأة مؤمنة يسأل الله خيرًا إلا أعطاه الله إياه .

ولقد فتح الله (عز وجل) أبواب الخير وجعلها واسعة ، فمن ضعف عن باب كان له في باب آخر متسع ، فمن كان من أهل الصلاة دخل من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دخل من باب الصدقة ، ومن كان من أهل القرآن دخل من باب القرآن ، ومن كان من أهل الصيام دخل من باب الريان ، قال (صلى الله عليه وسلم) :" مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ " ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟، قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : " نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ" [(١)]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، إِلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ "[(٢)].

فأبواب الفضل واسعة فاغتنمها ، وإذا فُتح باب من الخير فعلينا أن نغتنمه ، ونحن في شهر تضاعف فيه الحسنات ، من أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه.

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الصوم باب الريان للصائمين، حديث رقم ١٨٩٧، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة، حديث رقم ١٠٢٧.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله يا أهل الكتاب ، حديث رقم ٣٤٣٥. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب من يلقى الله بالإيمان ، حديث رقم ٢٨.

ومن رحمة الله (تعالى) وفضله أن جعل طرق الخير واسعة ، ومجالاته متعددة ومتنوعة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تَعْدِلُ بين اثنين صدقةٌ ، وتُعِينُ الرجلَ في دابتِه فتَحملُهُ عليها أو تَرفعُ له عليها متاعَهُ صَدَقَةٌ ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ ، وبكل خُطْوَةٍ تمشيها إلى الصلاة صدقةٌ ، وتُميط الأذَى عن الطريق صدقةٌ"[1].

● ● ●

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ، حديث رقم ٢٩٨٩.

رمضان شهر الرحمة والتسامح

رمضان شهر التسامح ، فمن كان بينه وبين أحد من الناس قطيعة أو شحناء فليعجل بإنهائها ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ، أما الفجور في الخصومة واللدد فيها فمن علامات النفاق والمنافقين ، فإذا خاصم المنافق فجر، أما المؤمن فسهل قريب كريم هين لين يألف ويؤلف ، ومن كان كذلك حرم الله جسده على النار ، ولا سيما في شهر الرحمة والتسامح والمغفرة والعتق من النار .

ولا شك أن ديننا هو دين الرحمة ، دين التسامح ، دين العفو ، دين الصفح ، دين الحلم ، دين مكارم الأخلاق ، وقد علّمنا القرآن الكريم ودعانا إلى أن نصفح الصفح الجميل ، فقال سبحانه مخاطبًا نبينا (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ ﴾[1]، وهو الصفح الذي لا منّ ولاعتاب ولا تأنيب معه .

ويقول (عز وجل) : ﴿ ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿ ﴾[4]، وفي الحديث النبوي الشريف : أَنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " [5] .

وقد كان من عاداتنا وأعرافنا الجميلة أنه إذا جاء رمضان تصالح المتخاصمون ، وتزاور الناس وتواصلوا ، وأدركوا بل أيقنوا أنه لا مجال للخصام أو الشقاق في هذا الشهر الكريم.

وإذا كان نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) يقول : " لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُما الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ" [6].

---

(١) الحجر : ٨٥.
(٢) الأعراف : ١٩٩.
(٣) الفرقان : ٦٣ - ٦٤.
(٤) النور : ٢٢.
(٥) صحيح البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة، حديث رقم ١١٤٥.
(٦) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب الهجر، حديث رقم ٦٠٧٧. وصحيح مسلم: البر والصلة باب، تحريم الهجر، حديث رقم ٢٥٦٠.

فإن الناس يدركون أن صيامهم لا يمكن أن يكون تامًّا كاملاً مع وجود الشحناء أو البغضاء فيما بينهم ، ومن ثم كانوا بفطرتهم يحرصون كل الحرص على إنهاء أي خصومات أو شحناء قبل رمضان ، وقبل السفر إلى الحج ، ويعدون ذلك من لوازم القبول.

ولم يكن الأمر يقف عند هذا الحد ، إنما كان يتجاوزه إلى التزاور المتبادل في ساحات كرم ومآدب إفطار وسحور هذا الشهر في أجواء عائلية وإنسانية تتسق وآداب هذا الشهر الكريم ، لا تهدف إلا إلى تعميق أواصر الرحمة والمودة بين الأهل والجيران والأصدقاء في أريحية مصرية تستحق التشجيع والتقدير .

إن رمضان شهر اتساع الأخلاق والنفوس لا ضيقها ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ"[1]، أي فليتحصن بصيامه وليحافظ عليه ، وألا ينساق إلى ما يتعرض له من استفزاز ، فالصائم الحق هو الذي يملك نفسه عند الغضب ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"[2]، فما نراه من تصرفات عنف شاذة إنما هي غريبة على ديننا وثقافتنا وهويتنا الحضارية ، ويزداد الأمر استنكارًا إذا وقع هذا العنف في هذا الشهر الفضيل ، ويكون الاستنكار أشد حدة إذا كان من إنسان محسوب شكلاً على الصائمين والقائمين ، إذ لا ينبغي أن نفهم الصيام أو نقصره على مجرد الامتناع عن الطعام والشراب ، إنما هو تهذيب للطباع ، وترقيق للمشاعر ، وتقويم للسلوك المعرفي ، وتدريب على قوة التحمل ، وصولا إلى تحقيق أعلى الأهداف ، وهو تحقيق التقوى والمراقبة التامين ، حيث يقول

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الصيام، باب هل يقول إني صائم، حديث رقم ١٩٠٤ ، وصحيح مسلم: الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم ١١٥١.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم (٦١١٤)، وصحيح مسلم: البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، حديث رقم ٢٦٠٩.

(سبحانه وتعالى) : ٱلۡ□ □ □ □ □ □ يم ي □ □ □ □ □ ٌّ ٍّ َّ[1]
□ .

وعلى الجملة فقد دعا الإسلام إلى السماحة، واليسر، والتيسير ، والرحمة ، والرفق ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ و إِذَا اشْتَرَى و إِذَا اقْتَضَى" [2]، وقال (صلى الله عليه وسلم) :" دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِه قَاضِيًا وَمُتَقَاضِيًا" [3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ "[4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) :" اللَّهُمَّ مَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ "[5].

فما أحوجنا في هذا الشهر الكريم إلى مراجعة النفس ، إلى التسامح والتصالح مع أنفسنا ، مع أهلينا ، مع أزواجنا ، مع أبنائنا ، مع أشقائنا وشقيقاتنا ، مع أعمامنا وعماتنا ، وبني أعمامنا ، وبني عماتنا ، وأخوالنا وخالاتنا ، وبني أخوالنا ، وبني خالاتنا ، وجيراننا ، وأصدقائنا ، وزملائنا ، وسائر المتعاملين معنا ، لنفوز ونسعد في عاجلنا وآجلنا بإذن الله (تعالى) .

● ● ●

---

(١) البقرة : ١٨٣.
(٢) صحيح البخاري: كتاب البيوع باب السهولة والسماحة، حديث رقم ٢٨١٦.
(٣) مسند أحمد: ج ١١/ ص ٥٥٠ ،حديث رقم ٦٩٦٣.
(٤) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق ، حديث رقم ٢٥٩٤.
(٥) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، حديث رقم ١٨٢٨.

حق الفقراء على الأغنياء في رمضان

للفقراء حق على الأغنياء بصفة عامة ، هذا الحق الذي تحدث عنه القرآن الكريم في سورة الذاريات فقال سبحانه :ﭽ □ □ ﭼ □ □ □ * □ □ □ □ □ ﭡ ﭢ ﭣ □ □ * □ □ □ ﭳ ﭴ □ □ □ * □ □ □ * □ □ □ □ □ □ ﭼ[1] ، وفي سورة المعارج في قوله (تعالى) :ﭽ □ □ □ □ □ * □ □ ﭼ[2]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِى مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِه بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلاَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالاً وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ" [3].

وهذا الحق يتمثل في قسمين: الأول: الحق الوجوبي المتمثل في الزكاة والكفارات.

والثاني: الندبي ويتمثل في الصدقات وسائر وجوه البر الأخرى .

وفي رمضان يزداد هذا الحق أهمية سواء أكان وجوبيًّا أو ندبيًّا ، فمن أدى فريضة في رمضان كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو ما يجعل كثيرًا من الأغنياء يخرجون زكاة أموالهم في رمضان بغية التعرض لهذا الثواب العظيم المضاعف ، أضف إلى ذلك زكاة الفطر التي هي طهرة للصائم ، وطعمة للمساكين ، والفقراء والمحتاجين ، أضف إلى ذلك إطعام الفقراء في رمضان ، فإذا كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) قد بين لنا أن من فطر صائمًا فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء ، فلا شك أن العناية بالفقير والمحتاج تعد من فقه الأولويات ، لحاجة هؤلاء ولإدخال السرور عليهم .

---

(١) الذاريات : ١٥-١٩ .

(٢) المعارج : ٢٤-٢٥.

(٣) سنن الترمذي : أبواب الزهد ، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، حديث رقم ٢٣٢٥.

ثم إن نبينا (صلى الله عليه وسلم) قد دعانا إلى إغناء الفقراء وإدخال الفرحة عليهم في يوم العيد ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : "اغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ"[1] ، وتمام هذه الفرحة يكون بالعمل على عدم اضطرارهم إلى ذل السؤال في هذه الأيام ، وذلك يكون بالعمل المبكر على قضاء حوائجهم في العيد قبلها بأيام ، والتوسعة عليهم بما يقضي حوائجهم وحوائج أسرهم .

ومن ثم فإننا ندعو إلى إسراع كل من لم يخرج زكاة ماله بإخراجها في هذا الشهر الكريم مستغلاً فضل الله العظيم على خلقه ومضاعفة الحسنات لهم في هذا الشهر ، وكذلك إخراج زكاة الفطر والتوسعة في إخراجها ، والعمل على ألا يكون بيننا لا في رمضان ولا في العيد جائع أو محتاج .

● ● ●

---

(١) سنن الدار قطني: كتاب زكاة الفطر ، حديث رقم ٢١٣٣.

المسابقة في الخيرات
واغتنام العشر الأواخر من رمضان

يا صاحب الجد شمر ، حان وقت الحصاد ، فقد دخل العشر ، وآن وقت ترقب ليلة القدر ، ويوشك الشهر أن يرحل ، فيا طوبى من اغتنم ، ويا لخسارة من ضيع ، فلم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، فمن أراد فليعجل ، قبل أن يبغته الأجل ، فلا ينفعه الندم.

يقول الحق سبحانه : ٌ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ بج □ □ □ □ □□ □□ □ ين □ □ير □ ني □ ني □ □ □ بجَّ (١)، ويقول سبحانه : ٌلم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ ًّ (٢).

فرمضان شهر الاجتهاد والمسارعة في الخير، لا سيما العشر الأواخر منه، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخص العشر الأواخر من رمضان بمزيد من الاجتهاد في الطاعة والعبادة ، فإذا دخلت العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله - بالذكر وتلاوة القرآن- ، وأيقظ أهله - ليأخذ بأيديهم إلى مرضاة الله - ، وشد المئزر- فرغ نفسه لعبادة الله (تعالى) ، إذ في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر، من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، والعمل فيها خير من العمل في ألف شهر غيرها، من وفقه الله لقيامها فتحت له أبواب الخير كلها.

وهناك نماذج عظيمة للمسارعة في الخير، فعلها الصالحون ، فربيعة بن كعب الأسلمي(رضي الله عنه) سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يرافقه في الجنة، فأجابه بقوله : "أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"(٣)، وعن أبي بن كعب ، قال : " كَانَ رَجُلٌ ، لا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : أَوْ قُلْتُ لَهُ : لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَفِي الرَّمْضَاءِ ؟ قَالَ : مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي

---

(١) الحديد : ٢١.
(٢) آل عمران : ١٣٣.
(٣) المعجم الكبير للطبراني: ج ٢٠/ ص ٣٦٥ ، حديث رقم ٨٥١.

مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَرُجُوعِي ، إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ " (١).

ويقول سبحانه : ﴿ ... ﴾(٢)، ويقول سبحانه : ﴿ ... ﴾(٣) ، ويقول سبحانه : ﴿ ... ﴾(٤)، ويقول (تعالى) : ﴿ ... ﴾(٥).

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا ، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوْ الدَّجَّالَ ؛ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوْ السَّاعَةَ ؛ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟" (٦).

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"(٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، فَقَالَ :" وَمَا ذَاكَ؟ ، قَالُوا : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ قَالُوا: بَلَى ، يَا رَسُولُ اللهِ ، قَالَ: تُسَبِّحُونَ ، وَتُكَبِّرُونَ ، وَتَحْمَدُونَ ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ

---

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، حديث رقم ٦٦٣.
(٢) البقرة : ١٤٨.
(٣) فاطر :٣٢.
(٤) الأنبياء :٩٠.
(٥) المطففين : ٢٦.
(٦) سنن الترمذي: كتاب أبواب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، حديث رقم ٢٣٠٦.
(٧) سنن النسائي: كتاب المواعظ، حديث رقم ١١٨٣٢.

ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّة [1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:" لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِى الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا " [2] وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (رضي الله عنه) عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ (رضى الله عنه) يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا ، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) :"مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟، قُلْتُ: مِثْلَهُ ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ ، قُلْتُ : لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا [3]، وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : مَرَّ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ بِعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَقْرَأُ، فَاسْتَمَعَ لِقِرَاءَتِهِ ، وَسَجَدَ عَبْدُ الله وَالنَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) خَلْفَهُ ، فَقَالَ : " سَلْ تُعْطَهُ " ثُمَّ مَضَى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ مِن ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ"، قال : فَأَدْلَجْتُ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ لِأُبَشِّرَهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَلَمَّا ضَرَبْتُ الْبَابَ ، أَوْ قَالَ : لَمَّا سَمِعَ صَوْتِي ، قَالَ : مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ قُلْتُ : جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : قَدْ سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ ، قُلْتُ : إِنْ يَفْعَلْ فَإِنَّهُ سَبَّاقٌ بِالْخَيْرَاتِ ، مَا اسْتَبَقْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَنَا إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ [4] .

وقد سئل أحدهم عن حال أحد الصالحين السابقين في الخيرات ، فقال : لو قيل له: إن القيامة غدًا ، ما وجد مزيد عمل يعمله.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، حديث رقم ٥٩٥.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، حديث رقم ٦١٥، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، حديث رقم ٤٣٧.

(٣) سنن الترمذي: أبواب المناقب، حديث رقم ٣٦٧٥.

(٤) مسند أحمد : ج ١/ ص ٣٧٢ ، حديث رقم ٢٦٥.

• • •

دائرة الحب الإلهي

مقام الحب ومقام الرضا من أعلى المقامات ، فأي مقام للعبد أسمى من دخوله في دائرة الرضا والحب الإلهي ، إنها لأسمى الغايات وأعلى الدرجات، أن تكون ممن يحبهم الله (عز وجل) ويحبونه ، وقد بين لنا القرآن الكريم وسنة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) جانبًا كبيرًا من صفات من يحبهم الله (تعالى) ويحبونه ، وهم أهل التقوى، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ [1] .

ويقول سبحانه : ﴿ [2] .

ويحب الحق سبحانه أهل الصبر ، حيث يقول سبحانه : ﴿ [3].

ويحب أهل الإحسان ، حيث يقول سبحانه : " ﴿ [4]، ويقول سبحانه: ﴿ [5] ، ويقول سبحانه : ﴿ [6].

ويحب أهل التوكل والاعتماد عليه ، حيث يقول سبحانه :﴿ [7] .

ويحب التوابين والمتطهرين ، حيث يقول سبحانه : ﴿ [8] ، ويقول سبحانه: ﴿

---

(١) آل عمران : ٧٦ .
(٢) التوبة : ٤ .
(٣) آل عمران : ١٤٦ .
(٤) آل عمران : ١٤٨ .
(٥) آل عمران : ١٣٥ .
(٦) البقرة : ١٩٥ .
(٧) آل عمران : ١٥٩ .
(٨) البقرة : ٢٢٢ .

□ ّ ّ ُ ِّ □ □ □ □ □ □ □ بر □□ بن بى بي تر □□ تن تى تي[1].

ويحب أهل العدل والإنصاف ، حيث يقول سبحانه : أُ□ □ □ يم يى□ □ □ □ ّ[2]، ويقول سبحانه : أُأتقهثم □ جم □ ّ[3].

ويحب (سبحانه وتعالى) الذين يحبون لقاءه ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ "[4].

ويحب من يتقرب إليه سبحانه بالفرائض والنوافل ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه"[5].

ويحب (سبحانه وتعالى) أهل التزاور والبذل والعطاء لأجله ، حيث يَقُولُ نبينا (صلى الله عليه وسلم) : قَالَ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) : "وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيّ" [6].

ومن أحبه الله (عز وجل) وضع له القبول في الأرض ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللهَ - تَبَارَكَ وَتعالى - إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ

---

(١) التوبة : ١٠٨.
(٢) المائدة : ٤٢ .
(٣) الحجرات : ٩ .
(٤) صحيح البخاري: كتاب الرقاق ،مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، حديث رقم ٦٥٧٠ ، وصحيح مسلم: كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ ، بَابُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ ، حديث رقم ١٧ .
(٥) صحيح البخاري: كتاب الرقاق ، بَابُ التَّوَاضُعِ ، حديث رقم ٦٥٠٢ .
(٦) موطأ مالك : باب ما جاء في المتحابين في الله – رقم الحديث ١٧٣١ .

أَهْلُ السَّمَاءِ ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْض" [1] .

● ● ●

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ ، حديث رقم ٣٢٠٩ ، وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ ، حديث رقم ١٥٧.

الإيمان وحسن الخلق

الإيمان وحسن الخلق وكماله قرينان ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلاقًا الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ "(١).

والإيمان صدق مع الله ، ومع الناس ، ومع النفس ، حتى عرّف بعضهم الإيمان بالصدق ، فقال : الإيمان أن تقول الصدق مع ظنك أن الصدق قد يضرك ، وألا تقول الكذب مع ظنك أن الكذب قد ينفعك ، لأنك تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك رفعت الأقلام وجفت الصحف .

فالإيمان أمان ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ"(٢) ، والإيمان عطاء وحكمة لا أذى فيه يقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ " (٣).

والإيمان أمانة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ"(٤) .

فالمؤمن الحق : وفِيّ ، حيي ، سخي ، كريم في أفعاله ، كريم في أقواله ، عف اللسان ، لا يعرف الفحش ولا الخنا ولا الرياء ولا النفاق إليه طريقا ، لا يكذب ، ولا يظلم ، ولا يغش ، ولا يحتكر ، ولا يختلس ، ولا يدلس ، ولا يطفف كيلا ولا وزنًا ، ولا يخوض في الأعراض ، يحفظ للنفس حرمتها، وللأموال حقوقها ، وللأوطان فضلها ومكانتها .

● ● ●

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم ٧٤٩٧ .
(٢) سنن النسائي: كِتَابُ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ ، باب صفة المؤمن ، حديث رقم ٤٩٩٥ .
(٣) متفق عليه: صحيح البخاري: بَابٌ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، حديث رقم ٦٠١٨ ، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ ، حديث رقم: ٧٤ .
(٤) مسند أحمد: ج ١٩/ ص ٣٧٥ ، حديث رقم ١٢٣٨٣ .

مقـــام العبودية

مقام العبودية هو مقام الصفاء والنقاء ، وكيف لا يكون كذلك وهو مقام التسليم والخضوع والانقياد المطلق لله (عز وجل) ، وحسن الاعتماد والتوكل عليه ، والاطمئنان بما عنده ، بأن يكون الإنسان بما عند الله (عز وجل) أوثق منه بما في يده ، مرتكنا إلى قوله (تعالى) : ﴿ ﴾[١]، وقوله (تعالى) : ﴿ ﴾[٢] ، وقوله (تعالى) : ﴿ ﴾[٣] ، وقوله (تعالى) : ﴿ ﴾[٤]، وقوله (تعالى) : ﴿ ﴾[٥].

ولما كان مقام العبودية أشرف المقامات اختار الله (تعالى) نبينا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) أن يكون عبدًا رسولا لا ملكًا رسولا ، وكان تشريفه (صلى الله عليه وسلم) بهذا المقام في أعظم رحلة في تاريخ البشرية رحلة الإسراء والمعراج ، حيث يقول رب العزة في كتابه العزيز : ﴿ ﴾[٦]، ويقول سبحانه : ﴿ ﴾[٧] .

وفي إضافة العبودية إلى ضمير العظمة تشريف وتكريم للحبيب (صلى الله عليه وسلم) ، فهو عبد الله ورسوله ، واقتصر هنا على مقام العبودية لأنها أشرف مقامات العبد بين يدي ربه .

ثم إن مقام العبودية هو مقام النبيين والمرسلين والصالحين والمخلصين ، يقول الحق سبحانه في شأن سيدنا أيوب (عليه

---

(١) الزمر: ٣٦.
(٢) الطلاق:٢.
(٣) الطلاق:٤.
(٤) الطلاق:٤.
(٥) فصلت : ٣١.
(٦) الإسراء: ١.
(٧) النجم: ٨-٩.

السلام):ﷺ [1]، ويقول سبحانه : ﷺ [2] ، ويقول سبحانه : ﷺ [3] ، ويقول سبحانه في شأن الخضر (عليه السلام) : ﷺ [4] .

وإذا كانت الرسالات قد ختمت ببعثة الهادي البشير محمد (صلى الله عليه وسلم) فإن مقام العبودية يظل باب رحمة واسعة لعباد الله المخلصين إلى يوم القيامة .

على أننا يجب أن نعي الفرق بين العبادة والعبودية ، فالأولى أخص والثانية أعم ، فالعبودية هي أن تكون سائر حركاتك وسكناتك لله (عز وجل) ، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فكان عبدًا شكورا.

وقد قال بعض العارفين: من ادعى العبودية وله مراد باقٍ فهو كاذب في دعواه ، إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته وقام بمراد سيده ، فلمقام العبودية من التعبد والخضوع ، والتذلل والخشوع ، ورفع الأيدي وسفح الدموع بين يدي عالم السر والنجوى وكاشف الضر والبلوى ، أحوال تدرك ولا توصف ، وأسرار لا يباح بها ، فالعبودية هي مقام الأصفياء لا الأدعياء.

• • •

الغني الشاكر

المال نعمة من نعم الله ، وشكره نعمة أخرى من نعمه سبحانه ، وقد قال أحد الصالحين : كلما أنعم الله (عز وجل) عليَّ بنعمة ثم وفقني لشكرها أدركت أن الشكر نعمة جديدة تحتاج إلى شكر جديد ،

---

(١) ص:٢١.
(٢) ص:٤٤-٤٦.
(٣) مريم :٢.
(٤) الكهف:٦٥.

فبالشكر تزيد النعم، يقول الحق سبحانه:أ□ ّ ِّ َّ ُّ ِّ □ □ □ □ □ □ ّ[1].

ومما يؤكد أن المال بحقه وحله نعمة من نعم الله وفضل منه سبحانه يؤتيه من يشاء ، قول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ الله الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"[2].

غير أن بعض الناس قد لا يدركون حقيقة تلك المعاني ، ففهموا الدين فهما خاطئا ، وارتبط الزهد في أذهانهم بجوانب شكلية لا علاقة لها بحقيقته، فتوهموا خطأ أن الزهد رديف الفقر أو حتى الفقر المدقع ، فالزاهد في تصورهم شخص بالضرورة قليل المال ، وربما قليل الحيلة ، وربما رث الثياب أو مخرقها ، صوته لا يكاد يبين ، ويده لا تكاد تلامس مصافحها ، ثم تطور الأمر إلى سلبية أشد بهجر العمل ، وربما ترك الدراسة العلمية أو عدم الاكتراث بها ، والخروج من الدنيا بالكلية إلى عالم أقرب ما يكون إلى الخيالات الخاطئة منه إلى دنيا الواقع ، في تعطيل مقيت وغريب وعجيب وشاذ للأسباب ، مع أن ذلك كله شيء والزهد شيء آخر .

وقد قال أهل العلم : ليس الزاهد من لا مال عنده ، إنما الزاهد من لم تشغل الدنيا قلبه ولو ملك مثل ما ملك قارون ، وسئل الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله تعالى) : أيكون الرجل زاهدًا وعنده ألف دينار؟ قال : نعم ، إذا كان لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت ، ولذا كان من دعاء الصالحين: اللهم اجعل الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) "أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ أَتَوْا رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، قَدْ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلا نَتَصَدَّقُ ، وَيُعْتِقُونَ وَلا نُعْتِقُ . فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ ، وَتَسْبِقُونَ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَلا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ ، إِلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، يَا رَسُولَ الله. قَالَ

---

(١) إبراهيم:٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم ، بَابُ الِاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ ، حديث رقم ٧٣ .

: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ : ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً . قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا ، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ . فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ"[1] ، مما جعل بعض العلماء يقررون أن حال الغني الشاكر خير من حال الفقير الصابر ؛ لأن ديننا دين العمل والإتقان ، دين الأخذ بالأسباب وعمارة الكون وصناعة الحضارة ، ولا يكون ذلك إلا بأمة قوية في اقتصادها وسائر جوانب حياتها ، بدليل أن نبينا (صلى الله عليه وسلم) قد أكد لنا أن اليد العليا المعطية خير من اليد السفلى الآخذة .

على أننا نؤكد أن شكر النعمة إنما يكون من جنسها ، فشكر الغنى هو الإنفاق في سبيل الله ، فالشكر عمل وليس قولا فقط ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ □ ﴾[2] .

• • •

(١) صحيح مسلم:كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، حديث ٥٩٥.

(٢) سبأ : ١٣.

شخصية المسلم

القلوب المؤمنة لا تعرف سوى الرحمة وحب الخير والسعادة للناس أجمعين ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ"(١)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) :" لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"(٢).

فالمؤمن صاحب قلب نابض يحب الخير للناس أجمعين ، لا يعرف الحقد ولا الغل إلى قلبه طريقا ، إلف ألوف ، يألف ويؤلف ، يدرك أن الأمر كله لله وبيده وحده ، فلا يحسد أحدا على نعمة آتاه الله إياها أو أنعم بها عليه ، راض بما قسمه الله (تعالى) له ، من خير الناس للناس، وخيرهم لأهله ، وخيرهم لدينه ، وخيرهم لوطنه ، لا يحب الفساد ولا المفسدين ، ولا تعرف الخيانة إليه طريقا ولا مسلكا ، آخذ بالأسباب ، محسن في توكله على ربه ، غير متكل ، عامل منتج ، مبدع مبتكر ، شريف عفيف متعفف ، مفتاح لكل خير ، مغلاق لكل شر ، يسعى في قضاء حوائج الناس ، عطوف على الفقير والمسكين ، رحيم بهما ، مكرم لهما ، غير معجب بنفسه ، ولا متعال على الناس ، أمين على النفس والمال والعرض والوطن ، يحل الحلال ويحرم الحرام ، وقّاف عند حدود الله عز وجل ، مجتنب لمحارمه بل حتى للشبهات والمشتبهات ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ ، لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ

---

(١) صحيح ابن حبان : باب ما جاء في الفتن ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ عِنْدَ وُقُوعِ الْفِتَنِ عَلَى الْمَرْءِ مَحَبَّةُ غَيْرِهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ ، حديث رقم ٥٩٥٤ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، حديث رقم١٣ .

الْقَلْبُ"[1].

المؤمن الحق من إذا سألته بالله أعطى في الحق وبالحق ، وإن ذكرته بالله وقف وتذكر وراجع نفسه ، تذكرك بالله رؤيته وطلعته ، وفِيّ ، حييّ ، سخي ، كريم في أفعاله ، كريم في أقواله ، عف اللسان ، لا يعرف الفحش ولا الخنا ولا الرياء ولا النفاق إليه سبيلا ، لا يكذب، ولا يظلم ، ولا يغش، ولا يحتكر ، ولا يختلس ، ولا يدلس، ولا يطفف كيلا ولا وزنا ، ولا يخوض في الأعراض ، يحفظ للنفس حرمتها ، وللأموال حقوقها ، وللأوطان فضلها ومكانتها ، بار بوالديه ، بار بوطنه ، مدرك أن هذه الخلال النبيلة مكارم أخلاقية وصفات إنسانية أجمعت عليها سائر الشرائع ، كما أنها فطر إنسانية سليمة لو لم يأت بها دين لأسرع إليها وتمسك به كل ذي عقل رشيد ، فما بالكم وفِي التمسك به سعادة الدارين ؟! حيث سئل نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما أكثر ما يدخل الجنة يا رسول الله ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) : "تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ"[2].

فيا باغي الخير أقبل ، و يا باغي الشر أقصر ، وثق أن للكون إلها مدبرا ، يعطي من يشاء ما يشاء متى يشاء ، يمنح ويمنع يعز ويذل ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه .

• • •

(١) صحيح مسلم : كتاب المساقاة ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ ، حديث رقم ١٠٧ .
(٢) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ ، حديث رقم ٢٠٠٤ .

الصبر والمصابرة

الصبر حبس النفس على ما يقتضيه الشرع والعقل ، وعما يقتضيان حبسها عنه ، فهو حبس لها على الطاعة حتى تؤدى ، وحبس لها عن المعصية حتى تجتنب .

وقال بعضهم هو البعد عن المخالفات ، والسكوت عن تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة .

وقال بعضهم : إذا كان الأمر متصلا بحبس النفس عند المصيبة عن الجزع سمي صبرًا ، وإن كان حبسا لها في ساحة القتال عن الجبن أو الفرار أو الخذلان سمي شجاعة .

وجزاء الصابرين عظيم ، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز : □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □(١) ، ويقول سبحانه : □ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ(٢) ، ويقول سبحانه : □ □ □ □ □ □ □ □ □(٣) ، ويقول سبحانه : □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲅ □ □ ﲈ ﲉ □ □(٤) .

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ"(٥)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ"(٦)، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"(٧) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ عِظَمَ الْجزاءِ مَعَ

---

(١) البقرة:١٥٣.
(٢) الشورى : ٤٣.
(٣) الزمر: ١٠
(٤) البقرة: ١٥٤-١٥٦.
(٥) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ ، حديث رقم ٢٢٣.
(٦) صحيح البخاريّ: كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، حديث رقم: حديث رقم ١٤٦٩.
(٧) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، حديث رقم ٦٤ .

عظَمِ الْبلاءِ ، وإِنَّ الله (تعالي) إِذَا أَحَبَّ قَومًا ابتلاهُمْ ، فَمنْ رضِيَ فلَهُ الرضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ"(١) .

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمؤمنَة في نَفْسهِ وَولَدِهِ ومَالِه حَتَّى يَلْقَى الله (تعالى) وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"(٢) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِم مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلاَّ كفَّر الله بهَا مِنْ خطَايَاه"(٣) .

أما المصابرة فهي مفاعلة بين طرفين ، فحينما تكون حبسًا للنفس على الطاعة أو عدم المعصية فهي مصارعة مع النفس أو الشيطان أي واجهوا صبر الشيطان على إغوائكم بصبر على طاعة الله ، واجتناب معصيته يغلب صبر الشيطان على الإغواء.

وحينما تكون المصابرة في مواجهة العدو ، يكون المعنى : واجهوا صبر عدوكم على قتالكم أو الكيد لكم أو المكر بكم بصبر يغلب صبره ، فلا يكون أعداؤكم أصبر على باطلهم منكم على حقكم، والحق (سبحانه وتعالى) يقول : ﴿ ... ﴾(٤) .

ويقول سبحانه: ﴿ ... ﴾(٥) .

فمهما كان من كيد الجماعات الإرهابية ومكرها فإننا على الحق لا يزيدنا الأمر إلا قوة وصلابة في الحق ؛ لأننا أصحاب قضية عادلة دينًا ووطنية وإنسانية ، وشعارنا قول الله (تعالى) : ﴿ ... ﴾(٦)، وقوله (تعالى) : ﴿ ...

(١) سنن الترمذي: أبواب الزهد ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ ، حديث رقم ٢٣٩٦ .
(٢) سنن الترمذي : أبواب الزهد ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ حديث رقم ٢٣٩٩ .
(٣) صحيح البخاري: كتاب المرضى ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ حديث رقم ٥٦٤١ .

(٤) آل عمران: ٢٠٠.
(٥)آل عمران: ١٠٤.
(٦) الأنبياء : ١٨.

لح لخ لمـَّ[1]، وقوله (تعالى) : ٱُّ   نى ني   يرَّ[2] ، وقوله (تعالى) : ٱُّ   َّ[3] .

● ● ●

---

(١) الشعراء: ٢٢٧.
(٢) الأنفال: ٣٠.
(٣) يوسف: ٢١.

الإسلام دين الرحمة والرفق ، دين الحلم والصفح ، دين التراحم والتكافل ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنْفِ ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ "(١)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ الرِّفقَ لا يَكُونُ في شيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ "(٢)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "من أُعْطِيَ حَظَّهُ من الرِّفْقِ فقد أُعْطِيَ حَظَّهُ من الخيرِ، ومن حُرِمَ حَظَّهُ من الرِّفْقِ فقد حُرِمَ حَظَّهُ من الخيرِ" (٣)، وقال (صلى الله عليه وسلم) لأشج عبد القيس وكان سيد قومه : "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله: الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ"(٤) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا" (٥) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يشادَّ الدِّينُ أحدٌ إلاَّ غَلَبه، فسدِّدُوا وقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، واسْتعِينُوا بِالْغَدْوةِ والرَّوْحةِ وشَيْءٍ مِن الدُّلْجةِ"(٦).

وقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) القدوة والمثل والأنموذج في النبل والرحمة والرفق ، يعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه ، وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : "مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري: كِتَابُ اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ ، بَابُ إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُصَرِّحْ، نَحْوَ قَوْلِهِ: السَّامُ عَلَيْكَ، حديث رقم ٦٩٢٧. وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة ، بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ ، حديث رقم ٧٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة ، بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ ، حديث رقم ٧٨ .

(٣) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّفْقِ ، حديث رقم ٢٠١٣ .

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ ، حديث رقم ٢٥ .

(٥) صحيح البخاري: كتاب العلم ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا ، حديث رقم ٦٩ .

(٦) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ، بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ ، حديث رقم ٣٩ .

حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ لله بِهَا" [1]، ويقول رب العزة سبحانه واصفا إياه (صلى الله عليه وسلم) : ﱡ □ □ □ □ □ □ ﱤ ﱥ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ ﱦ ﱧ □ □ □ □ □ □
ﱨ ﱠ[2]، ويقول سبحانه: ﱡ ﭐ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ □ □ □ □ □
ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ □ ﳊ □ ﱠ [3]، ويقول سبحانه : ﱡ ﭐ □
ﱨ ﱩ □ □ □ □ □ □ ﱪ □ □ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ □ □ ﱯ ﱰ ﱱ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱲ ﱠ [4] ، ويقول أنس بن مالك (رضي الله عنه) في وصف رفق رسول الله ولينه : "إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ" [5] ، ولما رأى الأقرع بن حابس النبي (صلى الله عليه وسلم) يقبّل الحسن والحسين قال له مستغربا : أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : "أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ الله مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ" [6].

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ" [7]، ويقول ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "ما أَعْطَى أهلُ بَيتٍ الرِّفْقَ إِلَّا نَفَعَهُمْ، ولا منعُوهُ إِلَّا ضَرَّهُمْ "[8]، وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إِذَا أَرَادَ الله بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ "[9].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم ٣٥٦٠.

(٢) آل عمران:١٥٩.

(٣) التوبة: ١٢٨.

(٤) الحجرات :٧.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب ، بَابُ الكِبْرِ ، حديث رقم ٦٠٧٢ .

(٦) صحيح مسلم: كتاب الفضائل ، بَابُ رَحْمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِه وَفَضْلِ ذَلِكَ ، حديث رقم : ٦٤ .

(٧) سنن الترمذي ت شاكر : أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، باب منه ، حديث رقم ٢٤٨٨ .

(٨) المعجم الكبير للطبراني : ج٣ ، ص ٣٦١ ، حديث رقم: ٢٢٧٤ .

(٩) مسند أحمد: ج ٦ / ص ٧١ ، حديث رقم ٤٥٥٣ .

التـــواضـــــع

التواضع خلق رفيع من شيم الصالحين وصفات المؤمنين حيث يقول سبحانه : ﴿ تح تخ تم ته ثم جم حم خم ﴾ [١]، فجعل الله تعالى أول صفات عباد الرحمن التواضعَ ولينَ الجانب الجانب وخفضَ الجناح ، ويقول (سبحانه وتعالى) لنبينا (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ تى تي ﴾ [٢].

ويقول سبحانه ممتنًا على نبيه (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ ﴾ [٣] ، ويقول سبحانه سبحانه على لسان لقمان (عليه السلام) في وصيته لابنه : ﴿ لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه ﴾ [٤] ، ويقول سبحانه : ﴿ مخ مم نج نح نخ نم نه هم يج يح يخ يم ﴾ [٥] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ"[٦]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ "[٧] ، وسئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها) ما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يصنع في بيته ؟ قالت : كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ [٨].

---

(١) الفرقان:٦٣
(٢) الشعراء:٢١٥
(٣) آل عمران:١٥٩
(٤) لقمان:١٨
(٥) الإسراء:٣٧
(٦) صحيح مسلم : كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ ، حديث رقم ٦٤ .
(٧) صحيح ابن خزيمة : كتاب الزكاة ، بَابُ ذِكْرِ نَمَاءِ الْمَالِ بِالصَّدَقَةِ [٢٤٧ - ب] مِنْهُ، وَإِعْطَاءِ الرَّبِّ - عَزَّ وَجَلَّ - ، حديث رقم ٢٤٣٨ .
(٨)صحيح البخاري: كتاب الأدب ، بَابٌ: كَيْفَ يَكُونُ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ ، حديث رقم ٦٠٣٩ .

كما حث ديننا الحنيف على التواضع ونهى عن الكبر وحذر منه ومن سوء عاقبته ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ ﴾ [1]، ويقول سبحانه : ﴿ ﴾ [2] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :"ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يوْمَ الْقِيَامةِ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلا ينْظُرُ إلَيْهِمْ ، ولَهُمْ عذَابٌ أليمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، ومَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ "[3] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "يقول "يقول الله (عز وجل) : "الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا ، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ"[4]، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ" [5] ، وقال وقال (صلى الله عليه وسلم) : " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ"[6] ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ ، فقالتِ النَّارُ: فيَّ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ، وقالَت الجنَّةُ: فيَّ ضُعَفاءُ النَّاسِ ومَساكِينُهُمْ، فَقَضَى اللهُ بينَهُمَا: إنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتي ، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ ، وإنَّكِ النَّارُ عذابي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ ، ولِكِلَيْكُما عليَّ مِلْؤُها"[7].

---

(١) الزمر:٦٠.
(٢) الأعراف:٤٨.
(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حديث رقم ١٧٣ .
(٤) سنن أبي داود : كتاب اللباس ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكِبْرِ ، حديث رقم ٤٠٩٠ .
(٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ، حديث رقم ١٤٧ .
(٦) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب التفسير ، بَابُ {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}[القلم: ١٣] حديث رقم ٤٩١٨ . وصحيح مسلم : كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، بَابُ النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ ، حديث رقم ٤٦ .
(٧) صحيح مسلم: كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، بَابُ النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ ، حديث رقم ٣٥ .

فعاقبة المستكبرين وخيمة أفرادًا كانو ا أو أممًا ، فقارون الذي آتاه الله مالا تنوء بحمل مفاتيح خزائنه العصبة أولو القوة عندما بغى وطغى ، وقال كما حكى القرآن الكريم على لسانه : ﴿ لم لى لي ﴾ [١] ، خسف الله به وبداره الأرض يقول سبحانه : ﴿ ﴾ [٢].

كما نرى أثر الكبر والغرور في قصة صاحب الجنتين بسورة الكهف ، حيث يقول الحق سبحانه في شأنه : ﴿ لم لى لي ﴾ [٣].

فلما جحد واستكبر كانت العاقبة زوال النعمة عنه ، حيث يقول الحق سبحانه ﴿ تم تهثم جم حم خم سم ﴾ [٤].

وهذا أيضًا هو جزاء القرى والأمم التي عتت واستكبرت ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ ﴾ [٥].

ويقول سبحانه : ﴿ ﴾ [٦] ، فكان عاقبة أمرها ﴿ ﴾ [٧].

• • •

آداب الاستئذان واحترام الخصوصيات

---

(١) القصص:٧٨
(٢) القصص:٨١
(٣) الكهف:٣٥.
(٤) الكهف: ٤٢-٤٣.
(٥) فصلت: ١٥-١٦.
(٦) الطلاق: ٨.
(٧) الطلاق:٨-٩

دیننا دین الجمال والرقي والرفعة والذوق السلیم والحس الإنساني المرهف ، فكل ما یتسق مع الآداب الإنسانیة العامة هو من صمیم الفطرة السلیمة التي فطر الله الناس علیها قال تعالى : ﴿ تم تى تي ثر ثز ثم ثن ثى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ﴾[1].

ومن أهم الآداب العامة التي ینبغي أن نحافظ علیها أدب الاستئذان حیث یقول الحق سبحانه وتعالى :﴿ ٱ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾[2]، وأدب الاستئذان هو أدب راق ، یدل على خلق صاحبه وعفته ورقیه وسمو أخلاقه.

ویزداد الأمر بیانا بقول الحق سبحانه:﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾[3]، وعن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله علیه وسلم): "إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ"[4].

على أن أدب الاستئذان لا یقف عند دخول البیت فحسب إنما یتسع لیشمل سائر الخصوصیات والحقوق الفردیة والمجتمعیة ، صیانة لكرامات الناس وحرماتهم وحریاتهم واحترام مشاعرهم ، فلا تفتح حقیبة أحد إلا بإذنه ، ولا تستخدم هاتفه إلا بإذنه ، ولا تفتح حاسوبه أو تستخدمه إلا بإذنه ، ولا تستعمل قلمه إلا بإذنه ، ولا تستخدم مسبحته إلا بإذنه ، فللناس خصوصیاتهم التي ینبغي أن تحترم ، ویشمل أیضًا الاستئذان عند الخروج من البیت ومغادرته ، فعن ابن

---

(١) الروم : ٣٠.
(٢) النور : ٢٧.
(٣) النور : ٢٧.
(٤) متفق علیه ، صحیح البخاري: كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ ، بَابُ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِئْذَانِ ثَلَاثًا ، حدیث حدیث رقم ٦٢٤٥ ، وصحیح مسلم: كتاب الآداب ، بَابُ الِاسْتِئْذَانِ ، حدیث رقم ٣٣ .

عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إِذَا زَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ ، فَلا يَقُومَنَّ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ"[1].

ومن آداب الاستئذان غض البصر ، وعدم استقبال الباب ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ)[2]، وعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ (رضي الله عنه) أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ الْبَابَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا تَسْتَأْذِنْ وَأَنْتَ مُسْتَقْبِلٌ الْبَابَ) [3] ، وقد ورد أن النَّبِي (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ إِذَا أَتَى بَابًا يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَمْ يَسْتَقْبِلْهُ ، جَاءَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلا انْصَرَفَ [4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لا يَحِلُّ لامْرِئٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى جَوْفِ بَيْتٍ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ دَخَلَ "[5].

هذا وينبغي أن نعلم أبناءنا ونعودهم على الاستئذان قبل الدخول مُنذُ بلوغ الحُلُم ، وأن نغرس هذه الآداب في نفوسهم ، فمن نشأ عليها نال حظًا عظيمًا من الأدب والرقي والتحضر ، يقول الحق سبحانه :"ٱلخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ّ"[6].

ومن الآداب التي ينبَغِي أن نراعيها الاستئذَانُ عَلَى الأهل قبل الدُّخُولِ: يقول ابنُ مَسعُودٍ (رَضِيَ الله عَنهُ) : "عَلَيكُمْ أَنْ تَستَأذِنُوا عَلَى أمَّهَاتِكُمْ "[7]، وعن مسلم بن نذير قال: " سَأَلَ رَجُل حُذَيْفَة : أَسْتَأْذِن عَلَى أُمِّي؟ قَالَ : إِنْ لَمْ تَسْتَأْذِن عَلَيْهَا رَأَيْت مَا تَكْرَه "[8] ، وعن عطاء قال : سألت ابن عباس فقلت : أستأذن على أختيّ ؟ فقال

---

(٢) تاريخ أصبهان : ج١ ، ٦٩ ، حديث رقم ١١٣ .
(٣) صحيح البخاري : كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ ، بَابٌ: الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ ، حديث رقم ٦٢٤١ .
(١) الجرح والتعديل: ج ١/ ص ٢٥٨ . ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٨/ص ٤٤ ، وقال: رَوَاهُ الطَبَرَانِيُّ وَرِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيحِ .
(٢) الأدب المفرد: بَابُ: كَيْفَ يَقُومُ عِنْدَ الْبَابِ؟ ، حديث رقم ١٠٧٨ .
(٣) الأدب المفرد: بَابُ النَّظَرِ فِي الدُّورِ ، حديث رقم ١٠٩٣ .
(٦) النور : ٥٩ .
(٥) تفسير الطبري: تفسير سورة النور الآية ٢٧ ، ج ١٩/ ص ١٤٧ ، ومسند الشاميين للطبراني ج٣/ص ٧٠ ، حديث رقم ١٨٢٢ .
(١) الأدب المفرد: بَابُ يَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّهِ ، حديث رقم ١٠٦٠ .

نعم ، قلت: إنهما في حجري؟ قال : أتحب أن تراهما عريانتين "[1].

• • •

---

(٢) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما) ج ١١/ص ٢٤٨ حديث رقم ٢٤٩ ، والأدب المفرد : بَابُ يَسْتَأْذِنُ عَلَى أُخْتِهِ ، حديث رقم ١٠٦٣ .

شر الناس وخيارهم

شرار الناس بل أكثرهم شرًا هم من يكونون معاول هدم لدينهم أو لوطنهم ، ومن يتخذون من الفساد والإفساد مسلكًا ، ومن النفاق والمداهنة سبيلاً ، حيث يقول الحق سبحانه : ٱ ّ ُ ِ □ □ □ □
□ □ □ □ □ ﮬ □ □ ﮭ ﮮ ﮯ * □ □ □ ﮱ ﯓ ﯔ
□ □ □ □ □□ □ □ □ □ ﯕ(١) .

ومن شرار الناس بل أكثرهم شرًا أيضا المخادعون المنافقون المتلونون ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ "(٢) .

شرار الناس كالأرض السبخة التي لا تنبت كلأ ولا تمسك زرعًا ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" (٣)، فالذي لا ينفع الله به الناس هو كالأرض السبخة أو القيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فخير الناس أنفعهم للناس ، وشرهم من تركه الناس واتقوه وتجنبوه اتقاء فحشه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ"(٤) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) :" إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ

---

(١) البقرة : ٢٠٤-٢٠٥

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب الحكام ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ ثَنَاءِ السُّلْطَانِ ، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ ، حديث رقم ٧١٧٩ ، وصحيح مسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ ذَمِّ ذِي الْوَجْهَيْنِ وَتَحْرِيمِ فِعْلِهِ ، حديث رقم ٩٩ .

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم ، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ ، حديث رقم ٧٩ .

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأدب ، بَابُ «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا» ، حديث رقم ٦٠٣٢ .

مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ "[1].

وإذا كان أشر الناس هو من يتأتى منه الأذى للناس أو لدينه أو لوطنه ، فإن خيرهم بالطبع من يأتى منه الخير لدينه ووطنه والناس أجمعين ، أما خيار الناس فهم أنفعهم للناس ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : "ألا أخبرُكُم بخيرِكُم من شرِّكم ؟" قالَ: فسَكَتوا ، فقالَ ذلِكَ ثلاثَ مرَّاتٍ ، فقالَ رجلٌ : بلَى يا رسولَ الله ، أخبِرنا بخيرِنا من شرِّنا ، قَالَ :"خيرُكُم مَن يُرجَى خيرُهُ ويُؤمَنُ شرُّهُ ، وشرُّكم من لا يُرجَى خيرُهُ ولا يُؤمَنُ شرُّهُ"[2]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) :"خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ (عَزَّ وجَلَّ) خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ) [4]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قَضَى لأَحَدٍ مِنْ أُمَّتِي حَاجَةً يُرِيدُ أَنْ يَسُرَّهُ بِهَا فَقَدْ سَرَّنِي ، وَمَنْ سَرَّنِي فَقَدْ سَرَّ اللهَ ، وَمَنْ سَرَّ اللهَ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ) [5] .

وسئل (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ (تعالى) أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ (تعالى) سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ – شَهْرًا ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ

---

(١) سنن ابن ماجه: المقدمة ، بَابُ مَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ ، حديث رقم ٢٣٧ .
(٢) سنن الترمذي: أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، باب منه ، حديث رقم ٢٢٦٣.
(٣) سنن الترمذي : أبواب المناقب ، بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم ٣٨٩٥ .
(٤) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الجِوَارِ ، حديث رقم ١٩٤٤ .
(٥) شعب الإيمان : باب التعاون على البر والتقوى ، حديث رقم ٧٢٤٧ .

فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ الله قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَام" [1] .

• • •

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم : كتاب الأدب ، ج ٤/ص ٣٠٠ ، والمعجم الصغير للطبراني ج ٢ /ص ١٠٦ ، حديث رقم ٨٦١ .

القــول السديــد

يقول الحق سبحانه : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ * ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾ [١] .

ففي تفسير هذه الآية ذكر المفسرون أقوالا عديدة من أهمها : أن القول السديد هو الصدق ، والحق ، والعدل ، والقصد ، وقال بعضهم : هو قول لا إله إلا الله ، وقال بعضهم : هو الإصلاح بين الناس ، وقال بعضهم : هو الكلام الذي يوافق ظاهره باطنه ، وقال بعضهم هو عام في جميع الخيرات وفي كل ما ذكر ، وهو ما أميل إليه .

فنحن مطالبون بأن نقول الصدق ، ونتحرى العدل في الأقوال والأفعال، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ﴾ [٢] ، ويقول سبحانه : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ﴾ [٣] ، وقد نهانا ديننا الحنيف عن الكذب وقول الزور ، حيث قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا ، الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُتَّكِئًا ، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا ، حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ "[٤].

فالكلمة أمانة والعاقل هو من يفكر قبل أن يتكلم ، والأحمق من يتكلم دون أن يفكر ، فالكلمة قد تودي بإنسان ، بل ربما بمصير أمة ، ولخطورة الكلمة يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" [٥] ، والمقصود يلقي الكلمة لا يفكر في معناها

---

(١) الأحزاب: ٧٠-٧١.
(٢) الأنعام:١٥٢.
(٣) النساء:٥٨.
(٤) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الشهادات ، بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ ، حديث رقم ٢٦٥٤ ، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا ، حديث رقم ١٤٣ .
(٥) صحيح البخاري: كتاب الرقاق ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ ، حديث رقم ٦٤٧٨ .

ولا تبعاتها ولا ما قد تجر عليه أو على بلده ، ولهذا كان الصمت خيرًا من الكلام فيما لا يفيد ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[(١)] .

وعن سيدنا معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: كنت رديف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال لي : " أَلا أَدُلُّكَ على رَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامه الْجِهَادُ .

ثُمَّ قَالَ : أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا نَبِيَّ الله ، فَأَخَذَ بِلِسَانه فَقَالَ: أُكْفُف عَلَيْكَ هَذَا .

فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ الله ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟"[(٢)] ، ويقول الحق سبحانه: ﴿ لم لى لي □ □ □ □ □□ □ □ □ نم نى * □ □ □ □ □ □ □ يم ﴾[(٣)] .

الكلمة إما أن تكون كلمة طيبة ترتقي بصاحبها إلى عنان السماء وإما خبيثة كشجرة خبيثة تجر على صاحبها الندم والشقاء ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ لج لح لخ لم لهمج * لخ لم لى لي □ □□ □□ □ □ □ □□ * نى □ □ □ □ □ □ □ □ يم يي □ □ □﴾[(٤)].

فعلى العاقل أن يقول خيرًا أو يصمت ، وألا يتدخل أو يتحدث فيما لا يعنيه ، وأن يفكر قبل أن يتكلم ، وإن تكلم فقولا سديدًا ، متحريًّا الصدق، والعدل ، والحكمة ، والقصد ، وفعل الخيرات ، والنهي عن المنكرات ، وهو ما يرضي الله (عز وجل) ويحقق صالح الحياة والممات.

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري: بَابٌ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، حديث رقم ٦٠١٨ ، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ ، حديث رقم: ٧٤.
(٢) سنن الترمذي: أبواب الإيمان ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ ، حديث رقم ٢٦١٦ .
(٣) ق: ١٦-١٨.
(٤) إبراهيم: ٢٤-٢٦.

• • •

من علامات قبول الطاعة

الصيام ليس مجرد امتناع عن الطعام والشراب وشهوة الفرج ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"(١)، وإنما هو أعمق من ذلك بكثير ، وقد قال العلماء إن الصيام على ثلاث درجات : صوم العوام ، وصوم الخواص، وصوم خواص الخواص.

أما صوم العوام : فهو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر حتى غروب الشمس .

وأما صوم الخواص: فهو إمساك عن شهوتي البطن والفرج ، والجوارح كلها ، فلا تنظر العين إلى ما حرم الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ ﴾(٢)، ولا تستمع الأذن إلى ما حرم الله (تعالى) ، ولا ينطق اللسان بما حرم الله (عز وجل) لذلك يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):" إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سابه أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ"(٣)، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ ضَمِنَ لي ما بينَ لَحْيَيْهِ ورجليهِ ضَمِنْتُ لهُ الجنَّة "(٤).

وقال (صلى الله عليه وسلم) أيضًا : "اضْمَنُوا لِي ستًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ : اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ. وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ"(٥).

وصوم خواص الخواص: هو النوع الأسمى من الصيام ، وهو حفظ القلب عن الالتفات لغير الله (تعالى) ، وعدم التعلق بالشواغل الدنيوية، وإخلاص الأمر كله لله (تعالى) .

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ، حديث رقم ١٩٠٣.

(٢) النور: ٣٠.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام ، حديث رقم ١١٥١.

(٤) صحيح ابن حبان: كتاب البر والإحسان، باب ذكر البيان بأن الصدق سبب في دخول الجنة، حديث رقم ٢٦٣٠٨.

(٥) شعب الإيمان للبيهقي: كتاب حفظ اللسان " عما لا يحتاج إليه " باب آثار وحكايات في فضل الصدق وذم الكذب سوى ما مضي ، حديث ٤٥٧١.

وقد قال العلماء إن من علامات قبول الطاعة : حالة من التغير السلوكي بعد الصيام ، فيعيش الإنسان في حالة طيبة من السلوكيات الفاضلة ، تحقق لديه الغاية من الصيام وهي التقوى ، والعلامة الثانية : حب الطاعة والمداومة عليها ، فالمؤمن قلبه مرتبط بشكل دائم بالطاعة ، ومتعلق بالله (تعالى) ، فأحب الأعمال إلى الله (تعالى) أدومها وإن كان قليلا ، فعَنْ السيدة عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ عِنْدَ الله أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ"(١)، وَكَانَتْ السيدة عَائِشَةُ (رضي الله عنها) إِذَا عَمِلَتْ عَمَلًا دَاوَمَتْ عَلَيْهِ.

وعليه فالصيام النافع هو الذي يعصم الإنسان من السلوكيات الخاطئة ، والابتعاد عن الحرام ، والغش أيا كان هذا الغش في الدواء أو الطعام أو الشراب، أو في أي نوع من أنواع المعاملات ، ويعصمه كذلك عن الخوض في أعراض الناس ، وبهذا يكون الإنسان صاحب حياة مستقيمة وطاعة صحيحة قال الله (تعالى) : ﴿   ﴾(٢).

فعلى الإنسان أن يداوم على طاعة الله (تعالى) ، الطاعة تلو الأخرى ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" قال الله (تعالى) : "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ""(٣).

• • •

محاسبة النفس

---

(١) مسند أحمد : ج٢٣ ، ص ٢٤٤ ، حديث رقم ٢٦٣٠٨.
(٢) النحل : ٩٧.
(٣) صحيح البخاري: كتاب الرقاق ، باب التواضع ، حديث رقم ٦٥٠٢.

محاسبة النفس من شيم المؤمنين وخصال الصالحين والمقربين ، الذين يُحاسِبون أنفسهم قبل أن يُحاسَبوا ، ويَزنون أعمالهم قبل أن توزن عليهم ، ويسألون أنفسهم قبل أن يقال لهم : ﱡ نه □ هم ﱠ[١] ، لم تغب الآخرة ولا ذكر الموت عنهم طرفة عين، يعبد أحدهم الله (عز وجل) وكأنه يراه ، وكأن الموت يتبعه ، وكأن الجنة عن يمينه والنار عن شماله ، وقد قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا حارثة بن النعمان كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟ " قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ، فَإِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ قَالَ: فَقَالَ: عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَأَسْهَرْتُ لِيَلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ كَيْفَ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ كَيْفَ يَتَعَادَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَبْصَرْتَ فَالْزَمْ، مَرَّتَيْنِ، عَبْدٌ نَوَّرَ اللهُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ "[٢].

لم تغرهم الدنيا وإن أقبلت ، ولم تشغلهم إن هي أدبرت ﱡ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ يم يى □ □ □ □ ﱠ[٣] ، فقد استعدوا على كل حال ، وطّنوا أنفسهم على الصبر عند البلاء والضراء ، والشكر عند النعمة والسراء.

فمن الناس من يحاسب نفسه كل لحظة ، ومنهم من يحاسبها كل يوم وليلة ، ومنهم من يحاسبها كل عام ، ومنهم من لا يحاسب نفسه حتى يجدها موقوفة للحساب ، فالعاقل السعيد من وُعِظَ بغيره، والشقي الأحمق من لا يوعظ إلا بنفسه .

غير أن بعض الناس قد لا يفطن لجوهر المحاسبة وكيفيتها فيظن أن محاسبة النفس تقف عند أداء الشعائر والعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج فحسب ، أو حتى مجرد اجتناب الكبائر ، غير أن بعضهم قد يغفل عن محاسبة نفسه عن مدى إتقانه للعمل ، أو إهماله فيه وتفلته منه ، وقد لا يحاسبها على كل ما اكتسبه أو حصله من مال ومدى حله أو حرمته ، ولا سيما الأمور المشتبهات.

---

(١) الصافات: ٢٤.
(٢) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي: باب آيَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ كَمَالَ الْإِيمَانِ بِالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ ج١/ ص ٣٥٦.
(٣) فاطر: ٥ .

وقد لا يحاسب نفسه على تجبرها أو تكبرها أو استعلائها أو جورها ، أو استقلالها، أو تقصيرها في حق اليتيم والضعيف والمسكين والمحتاج ، وقد لا يحاسبها على الوفاء بالحقوق الخاصة والعامة ، وقد لا يحاسبها على أداء واجباتها المجتمعية والوطنية ، وقد لا يحاسبها على كل لحظة وكل نَفَس خرج أكان في خير أم شر ، وأن يدرك كامل الإدراك أن من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره ، حيث يقول الحق سبحانه : أُ □ ين □ □ □ □ * □ □ بج بح بخ بمً[1].

• • •

(١) الزلزلة:٨٧.

حسن الخاتمة

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع مكانته العظيمة يسأل الله (عز وجل) حسن الخاتمة ويعمل لها ، فعن سيدنا أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : " كانَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) يُكثِرُ أن يقولَ : يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِك، فقلتُ : يا رسول الله آمنَّا بِكَ وبما جئتَ بِه فَهل تخافُ علَينا ؟ قَالَ: نعَم إنَّ القلوبَ بينَ إصبَعَينِ من أصابعِ اللَه يقلِّبُها كيفَ يشاءَ"(١).

فالأعمال بخواتيمها، وخير الناس من طال عمره ، وحسن عمله ، وختم له بحسن العاقبة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا "(٢) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):" كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيَيْنِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي ، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: واللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ ، فَقَبَضَ اللهُ أَرْوَاحَهُمَا ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا ؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا ؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ "(٣).

وعن السيدة عائشة (رَضي الله عنها) :" أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) كَان يقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حتَّى تتَفطَرَ قَدمَاهُ ، فَقُلْتُ لَهُ ، لِمَ تصنعُ هَذَا يَا رسولَ الله ، وقدْ غفَرَ الله لَكَ مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا

---

(١) سنن الترمذي: أبواب القدر، باب ما جاء في أن القلوب بين أصبعي الرحمن، حديث رقم ٢١٤٠.
(٢) سنن ابن ماجه: باب في القدر، حديث رقم ٧٦.
(٣) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، حديث رقم ٤٩٠١.

تأخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أكُون عبْداً شكُوراً؟"[1]، وكان الصحابة (رضي الله عنهم) يسيرون على منهج نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، يقول سيدنا أبو بكر الصديق(رضى الله عنه):" اسألوا الله حسن الخاتمة ، فإني لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة".

إن حسن الخاتمة ليس ملكًا لأحد من البشر ، ولا حكمًا يملكه أحد ، ومن هنا فالإنسان ليس وصيًّا على غيره ، ولا قاضيًا يحكم عليه بشيء من أمور الآخرة ، يقول الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): لا تنزلوا الموحدين المطيعين الجنة ، ولا الموحدين المذنبين النار حتى يقضي الله (تعالى) فيهم بأمره ، فالخاتمة في علم الله (تعالى) ، ولعل الله (تعالى) يحدث للمذنب توبة صادقة قبل الموت ، أو يوفقه لعمل صالح يختم به حياته ، فقد أخفى الله (عز وجل) رضاه في طاعته ؛ فلا تحقرن شيئا من طاعته فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم ، وأخفى سخطه في معصيته ، فلا تستصغرن شيئًا من معصيته فربما وافق سخطه وأنت لا تعلم ، كما ينبغي أن لا يستصغر أحد معصية ، ولا يحتقر أحد طاعة ، فقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها ولَم تطعمها ، ودخل رجل الجنة في كلب سقاه لما رَآه يأكل الثرى من العطش ، فأبواب الرحمة مفتوحة ومن امتلأ قلبه بالرحمة وراقب ربه على الدوام حسنت خاتمته.

وليحذر الإنسان من سوء الخاتمة ويستعيذ بالله منها ، وقد ضرب القرآن الكريم مثلاً لسوء العاقبة فيقول (تعالى) : ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ تن تى تي □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾[2].

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْهِ"[3].

فالشهيد يأتي يوم القيامة وجرحه يثغب دمًا ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، ومن مات حاجًّا بُعِثَ يوم القيامة مُلبيًا ، وهكذا في سائر أعمال الخير.

فلينظر كل واحد منَّا في الحال التي يرجو أن يبعث عليها ، ولو

---

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ليغفر لك الله ،حديث رقم ٤٨٣٧.
(٢) البقرة : ٢٦٦.
(٣) مسند أحمد : ج ٦ ، ص ٣٢٦ ، حديث رقم ١٤٣٧٣.

فكر كل واحد منَّا في ذلك جيدًا فيما يحب أن يرى نفسه عليه ، وما لا يحب أن يرى نفسه عليه عند لقاء الله (تعالى) يوم القيامة لما أقدم على عمل سوء أو منكر أو قبيح قط ، ولاجتهد أن يكون على الصورة التي يحب أن يلقى الله (تعالى) عليها.

وليس الأمر في حسن الخاتمة مقصورًا على أعمال العبادات من صلاة وصيام وحج ودعاء وذكر وقراءة قرآن ، أو محصورًا في هذه الأمور فحسب، إنما حسن الخاتمة يتجاوز ذلك إلى كل عمل يقوم به الإنسان .

فمن كان يكفل يتيمًا فلا ينبغي أن يتركه في منتصف الطريق بلا عذر ، إنما عليه أن يأخذ بيده إلى أن يبلغ رشده ويقوى على حمل أمره .

وكذلك من يقوم على شأن طالب علمٍ فقيرٍ ، فليجتهد أن يواصل الخير معه إلى أن يحصل على أعلى الدرجات العلمية ما دام هذا الطالب مؤهلاً لذلك .

وكذلك من يعمد إلى بناء مسجد أو مشفى أو دار سكن لإيواء غير القادرين أو أطفال الشوارع أو سكان بعض العشوائيات.

كل هؤلاء عليهم ألا يتوقفوا في منتصف الطريق وألا يصابوا بالفتور، إنما عليهم أن يواصلوا العمل ما وسعهم ذلك ، وكذلك حال من يعلم العلم أو الفقه أو القرآن الكريم .

وليدرك الإنسان أنه كلما دنا أجله كان أكثر حاجة أن يبذل جهدًا أكبر في الخير ، نسأل الله (عزوجل) أن يوفقنا لعملٍ صالحٍ ثم يقبضنا عليه غير ضالين ولا مضلين ، ولا مغيرين ولا مبدلين ، ولا فاتنين ولا مفتونين ، وأن يتقبل صلاتنا وصيامنا وركوعنا وسجودنا ، وأن يرزقنا الدوام على طاعته ، فخير الأعمال ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ.

● ● ●

أهلا شوال

كما قلنا أهلا رمضان ، واجتهدنا فيه صلاة وصيامًا وقيامًا وقراءة للقرآن، فإننا نقول أهلا شوال ، فرب رمضان هو رب شوال ورب سائر الشهور والأيام والأزمنة والأمكنة ، وإن الله (عز وجل) قد أخفى رضاه في طاعته فلا يدري الإنسان بأي طاعة تفتح له أبواب القبول ، ألم يقل نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوجد بِئراً فَنزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذا كَلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطش مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفِيهِ ، حتَّى رقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ الله لَه فَغَفَرَ لَه. قَالُوا: يَا رسولَ الله إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْراً؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ "[1] .

كما أن الله (عز وجل) قد أخفى غضبه في معاصيه فلا يدري الإنسان بأي معصية يؤخذ ، ألم يقل نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " دَخَلَت امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا ، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ"[2].

وإن الأعمال بخواتيمها ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِيْنَ يَوْمَاً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ، وَيؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِه وَأَجَلِه وَعَمَلِه وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ ، فَوَالله الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَايَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا "[3] .

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب المظالم والغضب، باب الآبار على الطرق، حديث رقم ٢٤٦٦، وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم، حديث رقم ٢٢٤٤.

(٢) صحيح مسلم: كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله ، حديث رقم ٢٦١٩.

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾ ﷻ ، حديث رقم ٧٤٥٤، ومسلم في صحيحه كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي، حديث رقم ٢٦٤٣.

وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يسأل الله حسن الخاتمة ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ"(١).

فإذا كان رمضان قد مضى بما فيه من الخيرات والبركات والنفحات ، فإن أبواب الخير كلها لا زالت مفتحة ، ولا يزال رب العزة (سبحانه وتعالى) يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسطها بالنهار ليتوب مسيء الليل، في رمضان وفي شوال وفي ذي القعدة وفي كل وقت وحين ، على أن من ذاق عرف ، ومن عرف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ، فمن ذاق حلاوة الصيام والقيام وقراءة القرآن لا يمكن أن ينقطع بعد رمضان عن هذه العبادات ، فقد ذكر أهل العلم أن من علامات قبول الطاعة حبها وزيادةٌ الإقبالٍ عليها، يقول الحق سبحانه: ﴿ ﴾ ، ويقول سبحانه: ﴿ ﴾(٢) ، ويقول سبحانه: ﴿ ﴾(٣).

فمن عاش مع القرآن الكريم في رمضان لا يمكن أن يهجره بعد رمضان، كما أن من ألف القيام وذاق حلاوته لا يمكن أن يهجره بعد رمضان ، فعندما تحدث الحق (سبحانه وتعالى) عن جزاء المتقين فقال: ﴿ ﴾(٤).

لم يخص ذلك بليل رمضان ، وعندما قال سبحانه في وصف مقيمي الليل: ﴿ ﴾(٥)، لم يقصر

---

(١) سنن الترمذي: أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ ، حديث رقم ٢١٤٠ .
(٢) الأنفال:٢.
(٣) الزمر:٢٣.
(٤) الذاريات : ١٥-١٨.
(٥) السجدة: ١٦-١٧ .

ذلك على رمضان دون سواه ، إنما جعله فضلاً عامًّا في سائر الأيام والشهور ، فإذا اعتاد الإنسان على الطاعة وأحبها وألفها في رمضان ، فإن عليه أن يبقى على نهجه طوال العام.

وقد حثنا النبي (صلى الله عليه وسلم) على عدم الانقطاع عن الصيام بانتهاء رمضان ، بل حثنا على المبادرة بالصيام في شوال ، وهو ما عبر عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) بالاتباع ، فقال : مَن صام رمضان ثم أتبَعَه ستًّا من شوَّال كان كصيام الدهر [1].

• • •

خواطـــر رمضـــانيــة

(١) صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال، حديث رقم ١١٦٤.

(١)
أوله رحمة فلنجعله رحمة للعالمين

يقولون : أوله رحمة ، وهذا صحيح ، لكن علينا أن نعلم وندرك أن من لا يرحم لا يرحم ، وأن الراحمين هم من يرحمهم الله عز وجل ، كما أن علينا أن نتراحم حتى لا يكون بيننا ولا فينا فقير ولا محتاج إلا عملنا متضامنين متكافلين على قضاء حاجته وسد عوزه وتفريج كربه ، فمن فرج عن إنسان كربة من كرب الدنيا ، فرج الله (تعالى) عنه كربة من كرب يوم القيامة .

(٢)
حاسب نفسك هل صمت حقًا ؟

ستة عشر سؤالاً عن حقيقة الصيام ، حاسب نفسك : هل صمت حقًّا ؟ هل صمت عن الحرام ؟ هل صمت عن الغيبة ؟ هل صمت عن النميمة ؟ هل صمت عن الغضب؟ هل صمت عن الغدر وخلف الوعد؟ هل صمت عن الكذب وقول الزور؟ هل صمت عن الخيانة ؟ هل صمت عن الخنا ؟ هل صمت عن الغش؟ هل صمت عن تطفيف الكيل والميزان ؟ هل صمت عن أذى الناس؟ هل صمت عن المكر والكيد للآخرين ؟ هل صمت عن الحقد والحسد ؟ هل صمت عن عقوق الوالدين ؟ هل صمت عن النظر إلى ما حرم الله؟. إن كانت الإجابة عن كل ذلك بنعم ، فقد صمت وكن راجيًا للقبول ، ملتمسًا له داعيًا به ، وإن كانت الإجابة على أي من هذه الأسئلة بلا ، فقد أتعبت نفسك جوعًا وعطشًا ، وعليك أن تستدرك قبل فوات الأوان .

(٣)
معنى من فطر صائمًا

قول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "من فطر صائمًا فله مثل أجره"[١] مقصد عظيم يتسع لكثير من المعاني ، فكلمة "صائمًا" وردت نكرة لتفيد العموم والشمول ، فالأجر والثواب قائمان لكل من

---

(١) سنن النسائي: كتاب الصيام، باب ثواب من فطر صائمًا ، حديث رقم ٣١٧.

فطر صائمًا: فقيرًا كان أو غنيًّا ، حتى الأهل والأصدقاء والزملاء ، فإلى جانب إطعام الفقراء وسد حاجتهم هناك مقصد آخر وهو تعميق أواصر الترابط بين الناس في شهر البر والصلة ، بالاجتماع على مائدة الأسرة ، مائدة العائلة ، مائدة الأصدقاء ، مائدة الزملاء.

كما يتسع المعنى لكل من فطر صائمًا حقيقة بأن دعاه إلى الإفطار أو وفره له طعامًا ، أو حكمًا بأن تصدق عليه أو أهداه ما يفطر عليه أو يُعِدُّ له إفطاره، والغاية من الحديث أمران : الأول التكافل بألا يكون بيننا في الشهر الكريم جائع ولا محتاج ولا محروم ، والآخر حدوث الألفة وتقوية الروابط الاجتماعية بين الناس بصفة عامة وفِي الشهر الفضيل بصفة خاصة .

(٤)

لا تسرفوا

الإسراف أمر خطير جدًّا نهانا عنه القرآن الكريم ، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ ﴾[١]، ويقول سبحانه: ﴿ ﴾[٢].

ومن أخطر أنواع الإسراف المنهي عنه ، الإسراف في الطعام والشراب بأن نشتري أو نصنع ما لا نأكل ، ثم نلقي به في سلات المهملات ، فهو إضاعة للمال من جهة ، وللنعمة من جهة أخرى .

فليس من حق من يملك المال أن يؤدي إلى ارتفاع ثمن السلع بالإسراف في استهلاكها فضلاً عن إتلافها .

على أن كثرة الطعام عند الإفطار تؤدي إلى الفتور في العبادة ، أو التكاسل عنها ، أو عدم القدرة عليها ، وحسبنا حديث نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مَلَأ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ : فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ "[٣].

ومن أخطر أنواع الإسراف أيضًا ، الإسراف في استخدام المياه ،

---

(١) الأنعام:١٤١.
(٢) الإسراء: ٢٧.
(٣) سنن الترمذي: أبواب الزهد ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، حديث رقم٢٣٨٠.

فقد نهانا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن الإسراف في الماء حتى في الوضوء.

فعَنْ عَبْدِ الله ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ :" مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ؟

قَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ"[1] ، وكذلك الإسراف في الكهرباء أو أي خدمة من الخدمات.

(٥)

واجب كل منا في رمضان

واجب كل منا في رمضان أن يقوم بمسئوليته- أيا كانت درجتها وعلى أي مستوى - على الوجه الأكمل : مسئولاً كان أو عاملاً أو صانعًا أو طبيبًا أو معلمًا ، كل في مجاله وميدانه ، فالنهوض بالوطن جزء من عقيدتنا ، وفِي مقدمة أولوياتنا ، ذلك أن الدين لا يقام ولا يمكن أن يقام دون وطن قوي يحمله ويحميه ، كما أن مصالح الأوطان من أهم مقاصد الأديان لا تنفك عنها ، وكل ما يقوي الوطن يقوي الدين ، وما يضعف الوطن يضعف الدين ، ولا سيما أن مصرنا العزيزة هي القلب النابض للعروبة والإسلام ، مع تأكيدنا أن مفهوم العبادة لا ينحصر في إقامة الشعائر التعبدية ، إنما يتسع ليشمل عمارة الكون و بناء الأوطان وصناعة الحضارة .

(٦)

وجه الصائم ليس عبوسًا

الإيمان نور ، والعبادة نور ، والنور والعبوس لا يلتقيان ، فمن ذاق حلاوة العبادة لا يمكن أن يعرف إلا السماحة واليسر ، فلا يعبس في وجوه خلق الله ، ولا يستطيل عليهم ، مدركًا أنه قد لا يدخل الجنة بعبادته ، غير أنه قد يدخلها بأخلاقه وسماحته وحسن معاملته للناس.

---

(١) سنن ابن ماجه: أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء، حديث رقم ٤٢٥.

(٧)
الصائم الحق لا يكذب
والصيام والكذب لا يلتقيان

الصائم الحق لا يكذب ؛ لأن الكذب والصيام متناقضان غاية التناقض ، فالصيام قائم على أعلى درجات المراقبة لله (عز وجل) في السر قبل العلن ، فهو سر بين العبد وربه ، والكذب أبرز علامات النفاق وأعلاها في سلمه ، وهو ما يتناقض غاية التناقض مع حقيقة الصيام ؛ لذا فهما لا يجتمعان ولا يلتقيان، فإما صائم وإما كذاب ، ولذا قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"(١).

(٨)
من أم بالناس فليخفف

الإسلام قائم على التيسير ورفع الحرج ، فالضعيف فينا أمير الركب ، ولما سأل سيدنا عثمان بن أبي العاص(رضى الله عنه)سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجعله إمام قومه ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : "أَنْتَ إِمَامُهُمْ ، وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ"(٢).

فالفقه هو التيسير بدليل ، ومن شدد شدد الله عليه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إنما بُعِثتم مُيسِّرين ولم تُبعثوا مُعسرين"(٣) ، ويقول الحق سبحانه : ﴿ ثم ثه ثم جم حم خم سم ﴾(٤) ، ويقول سبحانه : ﴿ بج بح بخ بم به تج تح ﴾(٥).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، حديث رقم ١٩٠٣.
(٢) سنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب اتخاذ المؤذن الذي لا يأخذ علي أذانه أجرًا، حديث رقم ١٦٤٨.
(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في البول يصيب، حديث رقم ١٤٧.
(٤) البقرة: ١٨٥ .
(٥) الحج: ٧٨ .

• • •

(٩)
هل ذقتم حلاوة الإيمان ؟

يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رضي بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً"[١] ، فقد رضينا بالله ربًّا لا شريك له ، وبالإسلام دينًا لا عدل عنه ، وبالحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيًّا ورسولاً خاتمًا لا نبي بعده .

ثم زاد نبينا (صلى الله عليه وسلم) أمورًا أخرى ، منها: "أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ"[٢] .

فهلموا نخلص حبنا لله ورسوله من الدخل ، ونخلص حبنا للناس من المنافع الزائلة ، فنجعل حركاتنا وسكناتنا وعطاءنا لله (تعالى) ، فنعم سعادة الدارين: راحة البال ونقاء الصدر في الدنيا ، ورضوان الله في الدنيا والآخرة.

(١٠)
أبواب الجنة

للجنة أبواب ثمانية ، فمن كان من أهل القرآن دخل من باب القرآن ، ومن كان من أهل الصلاة دخل من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دخل من باب الصدقة.

ومن هذه الأبواب باب يقال: له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون ، فإذا دخلوا أغلق دونهم ، ومن تمام الفضل والنعمة أن يوفقنا الله (تعالى) بعد نعمة صيام رمضان لصيام ست من شوال ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ"[٣] .

(١١)

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، حديث رقم ٣٤ .

(٢) سنن ابن ماجه: باب الصبر على البلاء، حديث رقم ٤٠٣٣.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصيام ، بَابُ اسْتِحْبَابِ صَوْمِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ إِتْبَاعًا لِرَمَضَانَ ، حديث رقم ٢٠٤ .

كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع

أعجب في هذا الشهر الكريم لحال أدعياء التدين والمتاجرين بالدِّين ، لعدم استحيائهم من الله (عز وجل) في كذبهم وافترائهم على الناس ببث الأكاذيب والشائعات وقول الزور ، متناسين أو متجاهلين قول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ "[1] ، فنقول لهم: استحوا من الله حق الحياء في هذا الشهر الكريم ، وراعوا حرمته إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، فاحفظوا ألسنتكم وأقلامكم وصفحاتكم من الكذب وأذى الخلق أو الافتراء عليه ، فتلك قاصمة الظهر محبطة العمل ، " كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع "[2].

(١٢)

باب الرحمة لم يغلق

باب الرحمة لم يغلق ، ولن يغلق أبدا ، لأن الله الرحيم هو الذي كتب على نفسه الرحمة في رمضان ، وفِي شوال ، وفِي ذي القعدة ، وفِي سائر الشهور والأيام ، بل إن التعرض لرحمات الله (تعالى) أرجى في ساعات الغفلة التي يغفل فيها الناس عن الطاعة لانشغالهم بأمور دنياهم ، كما أن الأجل أقرب إلى أحدنا من شراك نعله ، بل الجنة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله ، والنار مثل ذلك ، وقد أخفى ربنا (عز وجل) رحمته في طاعاته كما أخفى غضبه في معاصيه ، والأعمال بخواتيمها ، نسأل الله (عز وجل) حسن الخاتمة.

(١٣)

خلوة الذاكرين

ما أجمل أن تكون معه ، وأن تأنس بخلوتك إليه ، وأن تجد في خلوتك أسمى معاني الأنس به ، لا فرق عندك بين النور والعتمة ،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ، حديث رقم ١٩٠٣ .

(٢) سنن أبي داود: كتاب الدب ، بَابٌ فِي التَّشْدِيدِ فِي الْكَذِبِ ، حديث رقم ٤٩٩٢ .

فنوره سبحانه يغمر قلبك ويعمره ويكفيك ، ويا له من فيض كرم أن تكون لحظات سعادتك ودفئك هي لحظات خلوتك وانقطاعك إليه، وفراغ قلبك له ، فإني لأكاد أجزم أنها أول درجة في سلم اليقين ، وأول أنس لك تلقاه في أولى خطوات الوحدة والإفراد من المال والجاه والولد ، فقد عودتها ذلك ودربتها عليه من قبل أن تحمل عليه حملا ، فاجعل لنفسك من الأنس نصيبا اليوم لتراه فرطا لك في أول منازل الآخرة ، وكن له يكن لك ، واكتف به يكفك ، واستعن به يعنك ، واستغن به يغنك غنى حقيقيا لا فقر معه ولا بعده.

(١٤)

عبادة الخلوة وآدابها

إذا كانت مخالطة الناس أمرًا لا بد منه ، ولا غنى عنه لعمارة الكون وصناعة الحضارات ، كون الحياة قائمة على التعارف والتعاون والتكامل ، فإن الإنسان بين الحين والحين قد يحتاج إلى شيء من الخلوة لمراجعة النفس ومحاسبتها قبل أن تحاسب .

وكما أن للمخالطة آدابها مع الخلق فإن للخلوة آدابها مع الخالق (عز وجل) ، بحيث يستحضر الإنسان ويستشعر عظمة خالقه (سبحانه) ، فيتأدب بحسن الأدب مع الله (عز وجل) ، ظاهرا وباطنا ، شكلا ومضمونًا، روحا وحسا وجوارح ، فمن أحسن التأدب مع الله (عز وجل) في الخلوة أعانه ذلك على حسن الأدب مع الخلق بلا شطط ولا زلل .

(١٥)

نقاء السريرة

المؤمن إذا رأى خيرا ذكره ، وإن رأى شرا جبره وستره ، لا يحقد ، ولا يشمت ، ولا يتربص بالآخرين ، يحب للناس ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه .

هؤلاء هم أصحاب اليقين الناصع ، والإيمان الراسخ الصافي والقلوب النقية ، هؤلاء هم المتوكلون حقا ، الذين نزع الله ما في قلوبهم من غل ، فلا يعرف الحقد ولا الغل إلى قلوبهم سبيلا ، قال

تعالى: ﱡﭐ نى ني ير ين ﱠ[1] ، نسأل الله (تعالى) أن نكون منهم.

(١٦)
لحظة تأمل
نور الخلق وأنوار الخالق

تأملت مكانا تعودت تأمله فرأيته ذات ليلة موحشا ، ليس ببهائه وجماله الذي غالبا ما أراه عليه ، والدنيا هي هي لم تتغير ، ولوحات الإضاءة هي هي لم تنطفئ ، فترويت قليلا ، فوجدت الهلال محاقا ، فأدركت العلة والحكمة ، فنور الخلق عرض ، وليس عاما ، بل هو في قياس الكون محدود ، وقابل للانقطاع في أية لحظة ، ولا يمكن قياسه أومقارنته بأية حال إلى جانب أنوار الله (تعالى) ، أما نور الحق فعام ، ولا ينقطع ، إذ لا تحده الأدوات والأسباب ، وليس قاصرا على الحس، فهو يغذو الأبصار والقلوب معا ، وهو الأمان الذي لا خوف معه .

(١٧)
استجماع أدوات الفهم

لا ينكر أحد أننا من دعاة إعمال العقل ، واستخدام المنهج النقدي الواعي في التعامل مع المتغيرات ، والمنتج البشري حول النص المقدس ، غيرأنني أؤكد أن التعامل مع النص المقدس فيما يتعلق بفهم النص أو الفهم عنه ، والاستنباط منه ، وتنزيله على الواقع ، ليس من عمل الهواة أو غير المؤهلين أو غير المتخصصين، إنما يحتاج إلى خبرات وثقافة واسعة في علوم الشريعة واللغة العربية ،وفهم واقع الناس ومتغيرات العصر، فلا بد لمن يتعامل مع النص اجتهادًا أو استنباطًا أن يكون ملمًا بقواعد العلم مستجمعًا لأدوات الفهم.

(١٨)
لا كلام بعد نص القرآن

---

(١) فصلت: ٣٥.

لقد سمى القرآن الكريم الأسماء بمسمياتها الأدق ، فلم يرد في القرآن الكريم لفظ غزوة قط ، إنما عبر بلفظ يوم عما كان من نصر المسلمين يوم بدر الذي سماه الحق (سبحانه وتعالى) يوم الفرقان ، فقال سبحانه : ﭐلم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
ٍّ ٌّ ىٰ ني □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم يى □ □ □ □ □
□ (١).

وهكذا أيضا تحدث القرآن الكريم عن يوم حنين ، حيث يقول الحق سبحانه : ﭐنى ني □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □
□ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم * ثم □ جح □ جم □ حج
□ حم □ □ □ □ سج □ □ □ □□ □ □ □ * خج لم
لى لي □ □ □ □ □ □□ □ □ □ (٢) ، فقد كانت حروب النبي (صلى الله عليه وسلم) دفاعية ؛ إما دفعا لعدوان وردا لاعتداء ، أو دفعا لخيانة أو تآمر أو لنقض الأعداء عهدهم معه (صلى الله عليه وسلم) ، ولَم يكن أي منها اعتداء على أحد ، فكان الأنسب والأدق التعبير عنها بلفظ يوم وليس بلفظ غزوة ، وهو ما نعتمده ونراه الأدق في التعبير ، وضعا للأمور في نصابها وتسميتها بمسمياتها التي سماها القرآن الكريم بها وآثرها على غيرها .

● ● ●

(١٩)
من أخطر أنواع العجب والخيلاء

العجب والخيلاء من صفات إبليس لعنه الله ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ "(٣) ، وسئل أحد العارفين عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال : الكبر.

---

(١) الأنفال :٤١.
(٢) التوبة :٢٥-٢٧.
(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ، حديث رقم ١٤٧ .

وإذا كان الكبر مذموما على أية حال وفِي كل حال فإنه أكثر ذما وخطرا إذا كان استكبارا بالدِّين ، كالاستعلاء على الناس بالعلم أو بالعبادة ، فالأول لم يستفد من علمه ولا فقهه ، إذ لو كان عالما فقيها لحجزه علمه وفقهه ، فإن وجدت عالما مستعليا على الناس بعلمه فاعلم أنه لا فقه له ولا بركة في علمه ، والثاني محبط لعمله ، فإن وجدت عابدا مستعليا على الناس بعبادته فاعلم أنه جاهل مغرور مخدوع بنفسه ، محبط لعمله ، يقول الحق سبحانه: ﴿ ﴾[1].

(٢٠)

من أنزل حاجته باللّه كفاه
ومن اتكل على الخلق خاب مسعاه

من حلت به فاقة أو ألمت به جائحة أو ضيق عليه في أمر ، فأنزل حاجته بصدق مع الله كفاه وأرضاه ولم يَخبْ أبدًا مسعاه ، ومن أنزلها بالخلق ذل وهان وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وتنكر له الأخ والصديق ، وكانت عاقبة أمره عسرًا ، فَفَوِّضِ الأمر لمن دبرَّه فلن ترى غير الذي قدره ، وتعرف على الله (عز وجل) في الرخاء يعرفك في الشدة ، وانزع عنك لباس الحرص والطمع والجشع يسلم لك دينك وعرضك ومروءتك ، وإياك أن تعتمد على الخلق في أمر مبدأه ومنتهاه بيد الخالق وحده ، وثق أن الله (عز وجل) لا يكلف بالمحال ولا بغير المستطاع ، والخلق غير ذلك ، فكن له سبحانه يكن لك ، وكن به يكن معك ، وإذا كان هو معك فلا عليك بمن عليك ومن معك ، واعلم أن الأمر ليس في كثرة العمل ولا نوعه إنما في صدق النية فيه ، فلا تغالط نفسك عند تداخل النيات ، فالحلال بين والحرام بين ، والمشتبهات إلى الحرام أقرب ، والجنة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله والنار مثل ذلك ، فالنجاء النجاء ، النجاء النجاء ، انج سعد فقد هلك سعيد ، والسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه .

---

(١) لقمان:١٨.

(٢١)
من مفاتيح الإجابة

بعد إخلاص النية لله عزوجل ، وطيب المطعم بأكل الحلال ، ذكر أهل الصلة بالله أمورًا تستمطر إجابة الدعاء ، منها أن تبدأ الدعاء بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأن الله (عز وجل) أكرم من أن يقبل الصلاتين ويرد ما بينهما .

ومما تستمطر به الإجابة ما روي عن سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " إِنَّ لله مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَاسْأَلْ" [١]. صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

(٢٢)
خدمة الدين للدين وخدمة الدين للدنيا

هناك من يخدم الدين للدين خدمة عطاء وإخلاص ، وهؤلاء هم الأصفياء المخلصون ، الذين لا يبتغون إلا مرضاة الحق سبحانه ، نسأل الله أن يجعلنا منهم ، وأن يحشرنا في زمرتهم.

وهناك من يخدم الدين للدنيا ، أو بعبارة أدق يشتري الدنيا بالدين، وهؤلاء عبء ثقيل على الدين ، وعاقبة أمرهم خسرا ، ونعوذ بالله منهم ومن شرهم ، فضلا عن أن تزل قدمنا تجاههم .

وهناك من في أمره دخل أو التباس أو اختلاط ، فهم على الأعراف، كل وغلبة نيته ، ومدى إخلاصه أو فعله ، وهؤلاء نسأل الله أن يعينهم على أنفسهم ، وأن يخلص نياتهم لوجهه ، ويهديهم سواء السبيل.

(٢٣)
يا صاحب الجد شمر حان وقت الحصاد

يا صاحب الجد شمر ، حان وقت الحصاد ، فقد دخل العشر وآن وقت ترقب ليلة القدر ، ويوشك الشهر أن يرحل ، فيا طوبى لمن

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، حديث رقم ١٩٩٦ .

اغتنم ، ويا لخسارة من ضيع ، فلم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، فمن أراد فليعجل قبل أن يبغته الأجل ، فلا ينفعه الندم .

(٢٤)

من علامات الساعة تسارع الزمان

سرعة كر الأيام والليالي وسرعة دورانها وتقلبها وفقدان الإحساس بالزمن كل ذلك من علامات الساعة ، وفِي ذلك كله معتبر ومتعظ لمن كان له قلب سليم وعقل رشيد ، فإن أردت اغتنام ما هو آت فتأمل حال ما مر كيف مر ، وكيف داهمتك الأيام والليالي، وكيف داهمت غيرك وربما اختطفته.

ولكي تغتنم النصف الآخر من رمضان ولا تضيعه ، عليك أن تتذكر كيف أفلت النصف الأول منك إن كان قد أفلت ، وكيف مر عليك إن كان قد أفلت أو لم يفلت ، فليس النصف الثاني من رمضان أكثر عددا من الأول ولا هو منه ببعيد.

(٢٥)

في حب المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

ذكر المصطفى (صلى الله عليه وسلم) والحديث عنه والصلاة والسلام عليه مما يفتح الله به قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما ، وينطق به ألسنا خرسا ، وأنفسا بكما ، كيف لا ، وهو الهادي البشير ، والسراج المنير ، والهادي إلى سبيل رب العالمين ، وهو أول شافع ، وأول مشفع ، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ، وهو صاحب الدرجة الرفيعة ، وفرط أمته عند الحوض ، نسأل الله أن يكرمنا بشفاعته ، وأن يمن علينا برفقته في الجنة، ويسقينا عند الحوض بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا.

(٢٦)

رمضان شهر التسامح

رمضان شهر التسامح ، فمن كان بينه وبين أحد من الناس

قطيعة أو شحناء فليعجل بإنهائها ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ، أما الفجور في الخصومة واللدد فيها فمن علامات النفاق والمنافقين ، فإذا خاصم المنافق فجر ، أما المؤمن فسهل قريب كريم هين لين يألف ويؤلف ، ومن كان كذلك حرم الله جسده على النار ، ولا سيما في شهر العتق من النار ، نسأل الله أن نكون في هذا الشهر الكريم من عتقائه من النار .

(٢٧)

من أسباب النصر

للنصر أسبابه التي أولها إرادة الله وتوفيقه ، ثم اتباع سنته الكونية في الأخذ بالأسباب ، فَلَو تخلفت أسباب المؤمن عن أسباب غيره ، بما يعني تقصيره فيما أتيح له من أسباب ، وتقاعسه عن العمل على تغيير واقعه ، فإن سنة الله (تعالى) قد جرت بنصر وتوفيق من يعمل لا من يقصر ، أما حين يبذل المؤمن وسعه وأقصى طاقته ، ويبذل من الجهد أقصى الممكن والمتاح ، مع فهم دينه فهما صحيحا مستنيرا مميزا بين التوكل المحمود والتواكل المذموم ، فإنه حينئذ بين إحدى الحسنيين لا محالة ، فالنصر مع التقوى والصبر والتضحية والبذل ، وأن نلبس لكل حرب لبوسها ونعد لها عدتها ، وحينئذ فوعد الله لهذه الطائفة بالنصر قائم ونافذ لا محالة ، وتلك سنة من سنن الله الكونية في توفيق من يعمل ، وخذلان من يقصر.

(٢٨)

التصالح مع النفس

المؤمن الحق متصالح مع نفسه ، متسامح مع الآخرين ، سلم مع الكون كله ، يألف ويُؤلف ، لا يخدع ، ولا يغدر ، ولا يخون ، ولا يتربص بالآخرين ، ولا يتصيد لهم الأخطاء .

المؤمن الحق شيء آخر ، شيء عظيم ، سليم الصدر ، نقي السريرة يسعى في مصالح الناس لا في شقائهم ، يحب للآخرين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، تلك حلاوة الإيمان .

(٢٩)

خير الناس أنفعهم للناس
وشر الناس ذو الوجهين

لقد علمنا ديننا الحنيف أن خير الناس أنفعهم للناس ، خيرهم لأهله ، خيرهم لوطنه ، خيرهم لزملائه ، خيرهم لأصدقائه ، خيرهم للناس أجمعين ، بل خيرهم للحيوان والجماد ، فهو مفتاح لكل خير ، مغلاق لكل شر، وشرهم من لا تعرف على أي وجه هو ، يتلون كالحرباء ، على كل الموائد يأكل ، يقتات على الفتن ، ويتغذى بالنميمة ، مع كل ناعق يطير ، وفِي كل باب شر له مدخل ، لا مجد له يبنيه ولا مراد له يحصله إلا بمحاولة هدم الجادين ، أو القفز على منجزاتهم ، أمثال هؤلاء لا ينالون خيرا ، وعاقبة أمرهم خسرا ، وحياتهم لا تفارقها الحسرة والندم ، وإن ضاقت بهم الدنيا من شدة الحقد أو الكره كرهوا أنفسهم .

فطوبى لأصحاب النفوس النقية ، ولا عزاء لمن طبع الله على قلوبهم فاتشحت بالسواد وتدثرت به .

(٣٠)

يظن بعض الناس خطأ

أن أمر رمضان ينتهي بإدراك ليلة القدر

يظن بعض الناس خطأ أن أمر رمضان ينتهي بإدراك ليلة القدر ، وأن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين حسمًا ، فإذا ما قاموا ليلة السابع والعشرين أغلقوا دفاترهم وطووا صفحة الشهر الكريم ، مع أن ليلة القدر قد تكون ليلة الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين أو الثلاثين حال تمام الشهر ، وقد تكون قبل ذلك.

كما أن أفضل الأعمال أدومها وإن قل ، وما استفاد من رمضان من قصر في شوال أو ما بعده من الشهور ، فالأعمال بخواتيمها ، نسأل الله حسن الخاتمة.

(٣١)

من علامات التوفيق

التوفيق أمر عظيم لا غنى للمرء عنه ، ولا بركة له دونه ولله

در الشاعر حين قال:

فإن لم يكن عون من الله للفتى .. فأول ما يجني عليه اجتهاده

وإن صح عون الخالق المرء لم يجد .. عسيرًا من الآمال إلا ميسرا

على أن للتوفيق علامات وأسبابًا ومقدمات ، أبرزها التوفيق إلى الأسباب الصحيحة ، فالمقدمات الصحيحة تؤدي إلى نتائج صحيحة، فإذا لم يوفق الإنسان إلى الأسباب لم يصل إلى النتائج كالطالب ؛ ما لم يوفق إلى المذاكرة لم يصل إلى النجاح المرجو حتى لو حصل على الشهادة ظاهرًا ، لكن تظل شهادة الحياة والواقع العملي أمرًا صعب المنال ، فتمام التوفيق أن يهتدي للمذاكرة أولاً، ثم يأتيه الفضل بتمام التوفيق وإزالة العوائق.

(٣٢)

اغنوهم بغير سؤال

"اغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ"[١] هو حديث سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الفقراء والمساكين في أيام العيد ، والمعنى اغنوهم بغير سؤال منهم عن السؤال ، فمن أدخل السرور على مسلم ولا سيما في هذه الأيام المباركات كان حقًّا على الله (عز وجل) أن يرضيه يوم القيامة.

وهذا الإغناء يتطلب التوسعة عليهم ليس في ذات يوم العيد فحسب ، إنما قبل دخوله ، حتى يتمكنوا من قضاء حوائجهم وحوائج أبنائهم وأسرهم في متسع من الوقت ، فيا باغي الخير عجّل.

(٣٣)

طاعة عيد الفطر وطاعة عيد الأضحى

حياة المسلم كلها طاعة وعبادة ، نطقه ذكر ، وصمته فكر ، صومه عبادة ، وفرحه عبادة ، ما دام منضبطًا في ذلك كله بضوابط الشرع .

غير أن هذه العبادة تتحقق في أعلى معانيها بصلة الأرحام ، وبر الفقراء والمساكين وإغنائهم عن السؤال في تلك الأيام المباركات .

---

(١) سنن الدار قطني: كتاب زكاة الفطر ، حديث رقم ٢١٣٣.

وتتم النعمة في عيد الأضحى بشعيرة الأضحية لإطعام البائس الفقير والقانع والمعتر .

وفِي صك الأضحية متسع لوصول أضحيتك ، أو صدقتك للأكثر احتياجًا والأولى بالرعاية ، والأعمال بنياتها ومقاصدها ، فيا باغي الخير أقبل ، ولا تؤخر ، فسارعوا وسابقوا في الخيرات ، يقول سبحانه: "عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ"[1].

● ● ●

---

(١) المطففين: ٢٨ .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	مقدمة .	٥
٢.	على أبواب رمضان.	٦
٣.	يا باغي الخير أقبل.	١٠
٤.	رمضان شهر جماع الخير.	١٣
٥.	رمضان شهر القرآن .	١٧
٦.	رمضان شهر قيام الليل.	٢١
٧.	رمضان شهر العتق من النار.	٢٥
٨.	رمضان شهر العمل لا البطالة ولا الكسل.	٢٩
٩.	رمضان شهر الجود والإيثار والتكافل.	٣٢
١٠.	من فضائل رمضان في السنة النبوية.	٣٦
١١.	من فضائل الصلاة.	٣٩
١٢.	أدب الولائم في رمضان	٤٥
١٣.	رمضان شهر الرجاء.	٤٨
١٤.	رمضان شهر مكارم الأخلاق.	٥١
١٥.	رمضان شهر البر والصلة.	٥٥
١٦.	رمضان شهر الدعاء والإجابة.	٥٩
١٧.	رمضان شهر الانتصارات	٦٥
١٨.	رمضان شهر الأمل.	٧٠
١٩.	رمضان شهر الإخلاص والمراقبة.	٧٤
٢٠.	فضل السعي إلى المساجد وعمارتها.	٧٨
٢١.	تعدد طرق الخير في الرسالة المحمدية.	٨١
٢٢.	رمضان شهر الرحمة والتسامح	٨٣
٢٣.	حق الفقراء على الأغنياء في رمضان	٨٨
٢٤.	المسابقة في الخيرات واغتنام العشر الأواخر من رمضان	٩١
٢٥.	دائرة الحب الإلهي .	٩٦

٢٦.	الإيمان وحسن الخلق .	١٠٠
٢٧.	مقـــام العبودية .	١٠٢
٢٨.	الغـني الشـــاكـر .	١٠٥
٢٩.	شخصية المسلم .	١٠٨
٣٠.	الصبر والمصابرة .	١١١
٣١.	الرفق خير كله .	١١٥
٣٢.	التـــواضـــع .	١١٨
٣٣.	آداب الاستئذان واحترام الخصوصيات .	١٢٣
٣٤.	شر الناس وخيارهم .	١٢٧
٣٥.	القول السديد .	١٣١
٣٦.	من علامات قبول الطاعة.	١٣٥
٣٧.	محاسبة النفس .	١٣٨
٣٨.	حسن الخاتمة .	١٤١
٣٩.	أهلا شوال .	١٤٦
٤٠.	خواطر رمضانية.	١٥٠
٤١.	أوله رحمة فلنجعله رحمة للعالمين.	١٥١
٤٢.	حاسب نفسك هل صمت حقًا؟	١٥١
٤٣.	معنى من فطر صائمًا.	١٥٢
٤٤.	لا تسرفوا .	١٥٣
٤٥.	واجب كل منا في رمضان.	١٥٤
٤٦.	وجه الصائم ليس عبوسًا.	١٥٥
٤٧.	الصائم الحق لا يكذب والصيام والكذب لا يلتقيان.	١٥٥
٤٨.	من أم بالناس فليخفف .	١٥٦
٤٩.	هل ذقتم حلاوة الإيمان ؟ .	١٥٧
٥٠.	أبواب الجنة.	١٥٧
٥١.	" كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع "	١٥٨
٥٢.	باب الرحمة لم يغلق	١٥٩
٥٣.	خلوة الذاكرين	١٥٩
٥٤.	عبادة الخلوة وآدابها	١٦٠

٥٥.	نقاء السريرة	١٦٠
٥٦.	لحظة تأمل : " نور الخلق وأنوار الخالق "	١٦١
٥٧.	استجماع أدوات الفهم	١٦٢
٥٨.	لا كلام بعد نص القرآن	١٦٢
٥٩.	من أخطر أنواع العجب والخيلاء	١٦٤
٦٠.	من أنزل حاجته بالله كفاه ، ومن اتكل على الخلق خاب مسعاه .	١٦٤
٦١.	من مفاتيح الإجابة.	١٦٥
٦٢.	خدمة الدين للدين وخدمة الدين للدنيا.	١٦٦
٦٣.	يا صاحب الجد شمر ، حان وقت الحصاد .	١٦٧
٦٤.	من علامات الساعة تسارع الزمان .	١٦٧
٦٥.	في حب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) .	١٦٨
٦٦.	رمضان شهر التسامح .	١٦٨
٦٧.	من أسباب النصر.	١٦٩
٦٨.	التصالح مع النفس .	١٦٩
٦٩.	خير الناس أنفعهم للناس وشر الناس ذو الوجهين	١٧٠
٧٠.	يظن بعض الناس خطأ أن أمر رمضان ينتهي بإدراك ليلة القدر.	١٧٠
٧١.	من علامات التوفيق.	١٧١
٧٢.	اغنوهم بغير سؤال.	١٧٢
٧٣.	طاعة عيد الفطر وطاعة عيد الأضحى.	١٧٢
٧٤.	فهرس الموضوعات.	١٧٤

مطبعة وزارة
الأوقاف